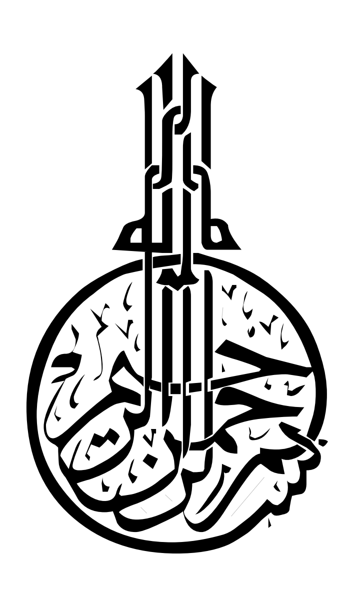
المناسبات النبوية

أدوار و مواقف



مكتب الإمام الخامنئي دام ظله - سورية
شؤون الثقافة والتعليم


بسم الله الرحمن الرحيم

المناسبات النبوية

أدوار ومواقف

مكتب الإمام الخامنئي دام ظله سورية - سنة الطبع ربيع الأول ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

 – إعداد: أيوب الحائري

المناسبات النبوية

أدوار ومواقف

ويليه

قبس من أخلاق رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه وتراثه


اللهم صل علی محمد و آل محمد

تقديم

يكفي لأي إنسان منصف أن يُلقي نظرة سريعة على حياة ومواقف النبي ﷺ ليخرج بنتيجة واضحة من أن هذا الإنسان الكامل العظيم ذو شخصية فذّة وفريدة لا يقاس به أحد باتفاق علماء المسلمين، فهو خير بني آدم الذي اختاره الله لهداية الناس أجمعين وأرسله بالهدى ودين الحق رحمة للعالمين، وجعله خاتم الأنبياء والمرسلين وأنزل عليه الكتاب المبين، القرآن الحكيم.

إن اللسان عاجز عن البيان والكلام في الحديث عن خير الأنام وإن الأقلام قاصرة عن التعبير والتعريف بالنبي الأعظم ﷺ فمهما كتبوا لم يكن إلا قطرة في محيط ذلك النور الساطع.

من هذا المنطلق وللتعرف على حياة هذه الأسوة الحسنة وبمناسبة ذكرى ولادته المباركة في شهر ربيع الأول التي تمحض عنها أسبوع الوحدة الإسلامية، ارتأينا أن نعرض لمحات عن سيرته

النيرة من أدوار ومواقف في مناسبات عدّة طوال حياته الشريفة وقبس من أخلاقه الحميدة وكلماته المنيرة مستغلين تلك المواقف المشرفة لنذكّر الأمة بهذه القدوة، ونقدمها لأبناء الأمة الإسلامية ليتأسوا به في مختلف أبعاد حياتهم، ويتخذوه نبراساً منيراً وأسوة حسنة عملاً بقوله تعالى في كتابه العزيز: ﴿**لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾[1].

وأخيراً نشكر الله تعالى أن وفّقنا في نشر الثقافة المحمدية الأصيلة للنّخبة من المثقفين وعلماء الدين، وما توفيقنا إلا بالله العلي العظيم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام وصحبه الأخيار المنتجبين.

مكتب الإمام الخامنئي دام ظله – سورية

شؤون الثقافة والتعليم

شهر ربيع الأول ١٤٢٨هـ ق

ذكرى ولادة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وحفيده الإمام الصادق عليه السلام

وذكرى أسبوع الوحدة الإسلامية

---

(١) الأحزاب: الآية ٢١.

المناسبات النبوية

أدوار ومواقـف

تمهيد

لمحة من السيرة النبوية

لقد ولد خاتم النبيين وسيّد المرسلين محمّد بن عبد الله بن عبد المطّلب صلى الله عليه وآله في السابع عشر من شهر ربيع الأول من عام الفيل بعد أن فقد أباه، ثم استرضع في بني سعد ، ورُدّ إلى أُمّه آمنة وهو في الرابعة أو الخامسة من عمره.

وقد توفّيت أُمّه حين بلغ السادسة من عمره الشريف صلى الله عليه وآله فكفله جدّه واختص به وبقي معه سنتين ثمّ ودّع الحياة بعد أن أوكل أمر رعايته إلى عمّه الحنون أبي طالب عليه السلام حيث بقي مع عمّه إلى حين زواجه؛

وسافر مع عمّه إلى الشام وهو في الثانية عشرة من عمره والتقى ببحيرا الراهب في الطريق فعرفه بحيرى وحذّر أبا طالب من التفريط به وكشف له عن تربص اليهود به الدوائر؛

وحضر النبيّ صلى الله عليه وآله حلف الفضول بعد العشرين من عمره وكان

يفتخر بذلك فيما بعد، وسافر إلى الشام مضارباً بأموال خديجة عليها السلام وتزوجها وهو في الخامسة والعشرين وفي ريعان شبابه، بعد أن كان قد عُرف بالصادق الأمين، وقد ارتضته القبائل المتنازعة لنصب الحجر الأسود لحل نزاعها فأبدى حنكةً وإبداعاً رائعاً أرضى به جميع المتنازعين؛

وبُعث وهو في الأربعين وأخذ يدعو إلى الله وهو على بصيرة من أمره ويجمع الأتباع والأنصار من المؤمنين السابقين؛

وبعد مضي ثلاث أو خمس سنوات من بداية الدعوة إلى الله، أمره الله بإنذار عشيرته الأقربين ثم أمره بأن يصدع بالرسالة ويدعو إلى الإسلام علانية ليدخل من أحبّ الإسلام في سلك المسلمين والمؤمنين؛

وفي الثالث أو الرابع للبعثة رجّح بعض المؤرّخين تحقق حادثة الإسراء والمعراج والنبيّ في أوج هذا الحزن والضغط النفسي على النبيّ صلى الله عليه وآله وهو يرى صدود قريش ووقوفها بكل ثقلها أمام رسالته ففتح الله له آفاق المستقبل بما أراه من آياته الكبرى فكانت بركات المعراج عظيمة للنبي صلى الله عليه وآله وللمؤمنين جميعاً؛

وبعد إعلان الدعوة أخذت قريش تزرع الموانع أمام حركة الرسول صلى الله عليه وآله وتحاول أن تمنع من انتشار الرسالة صادّة بذلك عن

سبيل الله، وعمل النبي ﷺ إلى فتح نافذة جديدة للدعوة خارج مكة فأرسل عدّة مجاميع من المسلمين إلى الحبشة بعد أن حظوا باستقبال مَلِكها (النجاشي) وترحيبه بقدومهم فاستقروا فيها بقيادة جعفر بن أبي طالب ولم يتركها جعفر إلاّ في السنة السابعة بعد الهجرة.

ولم تفلح قريش في تأليب النجاشي على المسلمين ، فبدأت بخطّة جديدة تمثّلت في فرض الحصار الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والذي استمرّ لمدة ثلاث سنين في شعب أبي طالب عليه السلام - فلمّا أيست من إخضاع النبيّ ﷺ وأبي طالب وسائر بني هاشم لأغراضها فكّت الحصار ولكن النبيّ ﷺ وعشيرته بعد أن خرجوا من الحصار منتصرين اصيبوا بوفاة أبي طالب وخديجة - سلام الله عليهما- في السنة العاشرة من البعثة وكان وقع الحادثين ثقيلاً على النبي ﷺ لأنّه فَقَد بذلك أقوى ناصريه في عام واحد اشتهر بعام الحزن.

وبعد الخروج من الحصار هاجر الرسول ﷺ إلى الطائف ليبحث عن قاعدة جديدة ولكنه لم يكسب فتحاً جديداً من هذه البلدة المجاورة لمكة والمتأثرة بأجوائها، فرجع إلى مكة بعد أن اختار جوار مطعم بن عدي فدخلها، وبدأ نشاطاً جديداً لنشر الرسالة وفي مواسم الحج حيث أخذ يعرض نفسه على القبائل القاصدة للبيت الحرام

لأداء مناسك الحج وللاتجار في سوق «عكاظ» ففتح الله له أبواب النصر بعد التقائه بأهل يثرب، واستمرّت دعوته إلى الله وانتشر الإسلام في يثرب حتى قرّر الهجرة إليها بنفسه بعد أن أخبره الله تعالى بكيد قريش حين أجمعت بطونها على قتله والتخلّص منه نهائيّاً، فأمر عليّاً عليه السلام بالمبيت في فراشه وهاجر هو إلى يثرب بكل حيطة وحذر، في أول من شهر ربيع الأول في سنة ١٣ بعد البعثة ودخلها وأهل يثرب على أتمّ الاستعداد لاستقباله، فوصل (قبا) في غرّة ربيع الأول وأصبحت هجرته المباركة مبدأ للتأريخ الإسلامي بأمر منه صلى الله عليه وآله.

وأسّس النبيّ الخاتم صلى الله عليه وآله أوّل دولة إسلامية فأرسى قواعدها طيلة السنة الأولى بعد الهجرة فبنى المسجد النبوي الذي أعدّه مركزاً لنشاطه ودعوته وحكومته وبالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ليقيم بذلك قاعدة شعبية صلبة يقوم عليها بناء الدولة الجديدة، هذا مضافاً إلى كتابة الصحيفة التي نظم فيها علاقة القبائل بعضها مع بعض والمعاهدة التي أمضاها مع بطون اليهود.

لقد استهدفت قريش النبي صلى الله عليه وآله ودولته من خارج المدينة، واستهدف اليهود هذه الدولة من داخل المدينة فرصد النبيّ تحركاتهم جميعاً، وتتابعت ثمان غزوات وسريّتان طيلة العام الثاني بما فيها غزوة بدر الكبرى في شهر رمضان المبارك حيث افترضت فريضة

الصيام وتمّ تحويل القبلة الذي أعطى لاستقلال الأمّة المسلمة والدولة الإسلامية بُعداً جديداً.

واستمرت محاولات قريش العسكريّة ضد الإسلام والمسلمين من خارج المدينة ونكثت قبائل اليهود عهودها مع النبيّ صلى الله عليه وآله عدّة مرّات خلال ثلاث سنوات متتابعة، فكانت خمس غزوات - وهي: أُحد وبني النضير والأحزاب وبني قريظة وبني المصطلق - ذات ثقل باهض على عاتق النبيّ صلى الله عليه وآله والمسلمين جميعاً خلال هذه السنين الثلاث.

وردّ الله كيد الأحزاب واليهود معاً في العام الخامس في غزوة الخندق، وانطلق النبيّ صلى الله عليه وآله بعد صلح الحديبية يتحالف مع القبائل المحيطة به ويستقطبها ليجعل منها قوة واحدة أمام قوى الشرك والإلحاد جميعاً حتى فتح الله له مكّة في العام الثامن ومكّنه من تصفية قواعد الشرك في شبه الجزيرة وكان ذلك فتحاً مبيناً.

ثمّ كانت السنة التاسعة وفيها دفعت غزوة تبوك وكانت هذه السنة عامرة بوفود القبائل التي أخذت تدخل في دين الله أفواجاً، منها وفد نصارى نجران وقصة المباهلة معهم.

وكان العام العاشر عام حجة الوداع وآخر سنة قضاها النبيّ صلى الله عليه وآله مع أمته وهو يمهّد لدولته العالمية ولأُمّته الشاهدة على سائر الأمم، حيث عيّن لها القيادة الحكيمة التي تخلفه وترسّم خطاه متمثّلة في

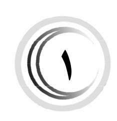
شخص علي بن أبـي طالـب عليه السلام ذلـك الإنـسان الكامـل الـذي ربّـاه الرسول الكريم بيديه الكريمتين منذ أن ولد ورعاه أحسن رعاية طيلة حياته، وجسّد الإمام علي بن أبي طالـب عليه السلام كـل قـيم الإسـلام فـي فكره وسلوكه وخلقه وضرب مثلاً أعلى فـي الانقيـاد لرسـول الله صلى الله عليه وآله ولأوامره ونواهيه فكان جديراً بوسام الولاية الكبرى والوصاية النبوية.

وتوفي النبي القائد صلى الله عليه وآله في الثامن والعشرين مـن صـفر المظفـر سنة إحدى عشرة هجرية بعد أن أحكم دعائم دولته الإسلامية.

وقد لبّى الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله نداء ربّه في الثامن والعـشرين مـن صفر المظفر سنة إحدى عشرة هجرية بعد أن أتمَّ تبليغ الرسالة علـى الرغم من حراجة الظروف وصعوبتها وأحكم دعائم دولته الإسـلامية. وهكذا ضرب الرسول صلى الله عليه وآله المثل الأعلى لطاعـة الله والانقيـاد لأوامـره حيث بلّغ أمر الله أحسن تبليغ وأتمّ الحجة بأبلغ بيان.

وهكذا غربت شمس أعظم شخصية غيرت مسار التاريخ البشري وفتحـت أمـام الإنـسانية صـفحات جديـدة ومـشرقة مـن الحـضارة والمدنية.

تلك نظرة سريعة إلى شخصية وحياة خـاتم الأنبيـاء محمّـد بـن عبد الله صلى الله عليه وآله وهلـمّ معنـا بعـد هـذه النظـرة إلـى الوقـوف علـى أهـمّ الحوادث والمناسبات التي كانت في سيرته الشريفة نعرضها باختصار بثوب جديد.



ولادة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله

شهر ربيع الأول/ عام الفيل = ٥٧٠ م

لقد اتفق عامة كتاب السيرة على أن ولادة النبي صلى الله عليه وآله كانت في عام الفيل في شهر ربيع الأول، ولكنهم اختلفوا في يومه، فذهب المشهور من العلماء إلى أنه في يوم الجمعة السابع عشر منه، وقد نقله الأثبات من الأعلام كالمفيد، والطبرسي، وابن طاووس، والمجلسي الأول قال: اعلم أنه اتفقت الإمامية - إلا من شذّ منهم - على أن ولادته صلى الله عليه وآله كانت في السابع عشر من ربيع الأول عام الفيل في مكة المكرمة في شعب أبي طالب أو شعب بني هاشم.

وذهب المشهور من علماء السنة إلى أن ولادته كانت في يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول، واختار هذا القول الشيخ الكليني

والشيخ المفيد[1]، وقد أعلنت الجمهورية الإسلامية هذه الأيام الفاصلة بين التقديرين أسبوع الوحدة الإسلامية، يحتفل فيها المسلمون وعلمائهم من مختلف المذاهب الإسلامية.

قال المحدث القمي: «قالت آمنة بنت وهب: إن النبي - والله - سقط فاتقى الأرض بيده، ثم رفع رأسه إلى السماء فنظر إليها، ثم خرج مني نور أضاء كل شيء، فسمعت في الضوء قائلاً يقول، إنك قد ولدت سيد الناس فسميه محمداً»[2]، وفي (الخرائج) كما عن (البحار): «أنه ولد ﷺ مختوناً مقطوع السرة»[3].

إن جميع الأدوار، والفترات في حياة العظماء، والنوابغ وقادة المجتمعات البشرية، وروّاد الحضارات الإنسانية وبُناتها تنطوي في الأغلب على نقاط مثيرة حساسة وعلى مواطن توجب الإعجاب.

إن صفحات تاريخهم وحياتهم منذ اللحظة التي تنعقد فيها نطفتهم في أرحام الأمهات، وحتى آخر لحظة من أعمارهم مليئة بالأسرار، زاخرة بالعجائب.

---

(١) قد ذكر المقريزي في كتابه الإمتاع صفحة ٣ جميع الأقوال المذكورة في يوم ميلاد النبي ﷺ وشهره وعامه فراجع.

(٢) منتهى الآمال ١: ٥٨، وتاريخ الطبري ٢: ١٥٦.

(٣) بحار الأنوار ١٥: ٣٦٩، والمنتظم ٢: ٢٢٧ – ٢٤٩.

فنحن كثيراً ما نقرأ عن أولئك العظماء في أدوار طفولتهم أنها كانت تقارن سلسلة من الأمور العجيبة، والمعجزة.

الحوادث العجيبة يوم ولادته صلى الله عليه وآله

وترافق مع ولادته المباركة حوادث كانت غريبة وعجيبة على قريش والعالم بأسره، منها: انكباب الأصنام جميعاً على وجوهها حول الكعبة، واضطراب إيوان كسرى، وسقوط أربعة عشر شرفة منه، وانخماد نار فارس التي لم تخمد منذ ألف سنة، ولم يبق سرير لملك من ملوك الأرض إلا نكس، وانتزع علم الكهنة، وبطل سحر السحرة، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**ولما حل الليل سمع هذا النداء من السماء: جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً، وأشرقت الدنيا كلها في هذه الليلة، وضحك الحجر والمدر، وسُبح الله في السماوات والأرضين، وبكى إبليس وقال: خير الأمة وأفضل الخلائق، وأكرم العباد وأعظم العالمين؛ محمد**»[١].

إن هذه الحوادث الخارقة والعجيبة كانت تهدف إلى أمرين:

الأول: أن تدفع بالجبابرة، والوثنيين وعبدة الأصنام إلى التفكير فيما هم فيه.

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ٨، ومنتهى الآمال ١: ٥٩.

ولو كانوا يفكرون في تلك الحوادث لعرفوا أن تلك الحوادث كانت تبشر بعصر جديد... عصر انتهاء فترة الوثنية وزوال مظاهر السلطة الشيطانية واندحارها؟

الثاني: أن هذه الحوادث جاءت لتبرهن على شأن الوليد العظيم، وإنه ليس وليداً عادياً، فهو كغيره من الأنبياء العظام الذين رافقت مواليدهم أمثال تلك الحوادث العجيبة، والوقائع الغربية، كما يخبر بذلك القرآن الكريم فيما يحدثه عن حياة الأنبياء وتخبر بها تواريخ الشعوب والملل المسيحية واليهودية.

الاحتفال بذكرى المولد النبوي:

وينبغي أن يحتفل المسلمون جميعاً بمولد النبي الأكرم ﷺ، ويقيموا المهرجانات الكبرى في هذه المناسبة الشريفة التي كانت مبدأ الخير والبركة، ومنشأ السعادة والكرامة للبشرية جمعاء، وأية مناسبة أحرى بالاحتفال والاحتفاء من هذه المناسبة؟

على أن إقامة مثل هذه الاحتفالات هو نوع من تكريم رسول الله ﷺ وهو أمر مطلوب ومحبوب في الشريعة المقدسة.

فقد قال الله تعالى: ﴿**فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ**

النّورَ الّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[١].

وعزّر بمعنى كرَّم وبجل كما في اللغة وهو لا يختص بزمان دون زمان، فعلى المسلمين في كل وقت وزمان أن يعظّموا شأن رسول الله ﷺ، ويكرمونه، سواء في حياته أو بعد مماته، لما له من فضل عظيم على الناس، ولما له من منزلة عند الله تعالى.

كيف لا والاحتفال بميلاده لا يعني سوى ذكر أخلاقه العظيمة، وسجاياه النبيلة، والإشادة بشرفه وفضله وهي أمور مدحه القرآن الكريم بها إذ قال سبحانه: ﴿**وَإِنّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[٢] وقال تعالى أيضاً: ﴿**وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ**﴾[٣] وغير ذلك من الآيات المادحة لرسول الله ﷺ.

فإن الاحتفال بميلاد رسول الله ﷺ الذي يتحقق بذكر صفاته وأخلاقه والإشادة به خير مصداق لرفع ذكره، الذي فعله الله بنحو مّا.

إن الاحتفاء والاحتفال بمولد خاتم النبيين رسول الله ﷺ إنما هو تكريم لمن كرّمه الله تعالى، وأمر بتكريمه، وحث على احترامه وحبه، ومودته، وإنه بالتالي أداء شكر لله تعالى على تلك الموهبة

---

(١) الأعراف: الآية ١٥٧.

(٢) القلم: الآية ٤.

(٣) الانشراح: الآية ٤.

العظيمة، وتلك العطيّة المباركة حيث من سبحانه على البشرية عامة وعلى المسلمين خاصة بأن شرف الله بمولد عظيم نعمت الأرض ببركة شخصيته وخلقه، وأشرقت بنور رسالته ودعوته، فأية نعمة ترى أولى بالشكر من هذه، وأي شكر أجمل وأفضل من الاحتفاء بمولد هذا النبي العظيم ﷺ، وذكر فضائله، في يوم ميلاده، وطلب التوفيق الإلهي لمتابعته، والسير على نهجه، والدفاع عن رسالته، والذب دون دينه، بعد الشكر لله تعالى على موهبته هذه؟؟

هذا ولقد درج المسلمون في العصور الإسلامية الأولى على الاحتفال بذكرى المولد النبوي وأنشأوا القصائد الرائعة في مدحه، وذكر خصاله ومكارم أخلاقه، واظهروا السرور بمولده والشكر لله تعالى بلطفه، وتفضله به ﷺ على البشرية.

قال الإمام الديار بكري في تاريخ الخميس في هذا الصدد:

لا يزال أهل الإسلام يحتفلون بشهر مولده عليه السلام ويعملون الولائم، ويتصدقون في لياليه بأنواع الصدقات ويظهرون السرور، ويزيدون في المبرات ويعتنون بقرائة مولده الكريم، ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عميم[١].

---

(١) تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس:

من أوصاف النبي صلى الله عليه وآله:

أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله كان قد كرّس جلّ حياته في سبيل دعوة الناس إلى الله تعالى وإلى تعاليمه، دون أن يستعين بأية وسيلة مادية كبيرة أو قوّة عسكرية هائلة.

فما الذي مكّن رسول الله صلى الله عليه وآله من إحراز ذلك النجاح الباهر في مجتمع الجاهلية مغرق في القسوة والجفاء، وغلظة الطبع وشكاسة الخلق ؟!

كيف طوى خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله رحلة قرن ونصف من الزمان في ربع قرن؟ وكيف لم تحتج عملية الهداية المحمدية والتغيير الاجتماعي والفكري العميق إلى زمن طويل؟!

ويأتي الجواب القرآني واضحاً من خلال وصفه تعالى لرسوله الكريم بالخلق العظيم حيث وصف به نبيه تارة على نحو الإجمال، إذ قال عنه: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضّواْ مِنْ حَوْلِكَ**﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿**عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ**

---

(1) القلم: الآية ٤.

(2) آل عمران: الآية ١٥٩.

رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

وسنجيب على هذا السؤال بالتفصيل في أخر هذا القسم تحت عنوان: قبس من أخلاق رسول الله ﷺ فهو وصف موثق لأخلاق النبي الأكرم مما نطق وحدّث به أهل بيته عليهم السلام وصحابته الكرام وزوجاته، أمهات المؤمنين.

---

(1) التوبة: الآية ١٣٨.



سفر النبي صلى الله عليه وآله إلى الشام مع عمه

٢٨ قبل البعثة

لقد كانت سفر النبي صلى الله عليه وآله هذه التي قام بها بصحبة عمّه وكافله (أبي طالب)[1] في الثانية عشرة من عمره إلى الشام، من أجمل وأطرف أسفاره صلى الله عليه وآله لأنه صلى الله عليه وآله عبّر فيها على: (مَدْيَنَ) و (وادي القرى) و (ديار ثمود) واطّلع على مشاهد الشام الطبيعية الجميلة.

ولم تكن قافلة قريش التجارية قد وصلت إلى مقصدها حتى حدثت في منطقة تدعى (بصرى) قضية غيرت برنامج (أبي طالب) وتسببت في عدوله عن المضي به في تلك الرحلة والقفول إلى مكة).

---

(1) ويذكر (أبو طالب) في أبيات له قصّة هذه السفرة وما جرى فيها من البدء إلى الختام نقتطف منها هذا البيت: إنَّ ابنَ آمِنة النبي محمَّداً عندي يفوقُ منازل الأولاد

وإليك فيما يلي مجمل هذه القضية:

كان يسكن في (بصرى) من نواحي الشام رهبٌ مسيحي يدعى (بحيرا) يتعبّد في صومعته، يحترمه النصارى في تلك الديار.

وكانت القوافل التجارية إذا مرت على صومعته توقفت عندها بعض الوقت وتبركت بالحضور عنده.

وقد اتفق أن التقى هذا الراهبُ قافلة قريش التي كان فيها رسول الله ﷺ، فلفت نظره شخصيةُ (محمد)، وراح يحدق في ملامحه، وكانت نظراته هذه تحمل سراً عميقاً ينطوي عليه قلبه منذ زمن بعيد وبعد دقائق من النظرات الفاحصة، والتحديث في وجه النبي ﷺ خرج عن صمته وانبرى سائلاً: أُنشدكم بالله أيّكم وليّه؟

فأشار جماعة منهم إلى (أبي طالب) وقالوا: هذا وليّه.

فقال (أبو طالب): إنه ابن أخي، سلني عمّات بدالك.

فقال (بحيرا): إنه كائن لابن أخيك هذا شأنٌ عظيمٌ، نجده في كتبنا وما روينا عن آبائنا، هذا سيّدُ العالمين، هذا رسولُ رب العالمين، يبعثه رحمة للعالمين، إحذرْ عليه اليهود لئن رأوه وعرفوا منه ما أعرف ليقصدنَ قتله[1].

---

(1) روى تاريخ الطبري ٢: ٣٢ و٣٣، والسيرة النبوية ١: ١٨٠ ـ ١٨٣ هذه القصّة بتفصيل أكبر وقد اختصرناها هنا تمشياً مع حجم هذا الكتاب.

هذا وقد اتفق أكثر المؤرخين على أنَّ النبي ﷺ لم يتعدَّ تلك المنطقة، وليس من الواضح أن عمه (أبا طالب) بعثه إلى مكة مع أحد، (ويُستبعد أن يكون عمه قد رضي بمفارقته منذ أن سمع تلك التحذيرات من الراهب بحيرا)، أم أنه اصطحبه بنفسه إلى مكة، وانثنى عن مواصلة سفره إلى الشام)[١].

وربما قيل أنه تابع - بحذر شديد - سفرهُ إلى الشام مع ابن أخيه (محمد ﷺ).

---

(1) السيرة النبوية ١: ١٨٢ و ١٨٣.



النبي محمد صلى الله عليه وآله في حلف الفضول

٢٠ قبل البعثة

لقد كان في ما مضى ميثاقٌ وحلف بين الجرهميين يدعى بحلف (الفضول)، وكان هذا الحلف يهدف إلى الدفاع عن حقوق المظلومين، وكان المؤسسون لهذا الحلف هم جماعة كانت أسماؤهم برمتها مشتقة من لفظة الفضل، وأسماؤهم ـ كما نقلها المؤرخ المعروف (عماد الدين ابن كثير)، هي عبارة عن: (فضل بن فضالة)، و (فضل بن الحارث)، و (فضل بن وداعة)[1]، وحيث أن الحلف الذي عقدته جماعة من قريش فيما بينها كان متحداً في الهدف (وهو الدفاع عن حقوق المظلومين) مع حلف (الفضول) لذلك سمّي هذا الاتفاق وهذا الحلف بحلف (الفضول) أيضاً.

---

(1) البداية والنهاية ١: ٢٩٠.

فقبل البعثة النبوية الشريفة بعشرين عاماً دخل رجلٌ من (زبيد) في مكة في شهر ذي القعدة، وعرض بضاعة له للبيع فاشتراها منه (العاص بن وائل)، وحبس عنه حقه)، فاستعدى عليه الزبيدي قريشاً، وطلب منهم أن ينصروه على العاص، وقريش آنذاك في أنديتهم حول الكعبة، فنادى بأعلى صوته:

يا آل فِهر لمظلوم بضاعتُه ... ببطن مكة نائي الدار والنَفَر

ومُحرمٌ أشعثٌ لم يَقض عُمْرتَه ... يا للرِّجال وبَيْن الحجر والحَجَر

إن الحرامَ لِمَن تمَّت كرامتُه ... ولا حَرام لِثوب الفاجر القذر

فأثارت هذه الأبيات العاطفية مشاعر رجال من قريش، وهيّجت غيرتهم، فقام (الزُبير بن عبد المطلب) وعزم على نصرته، وأيّده في ذلك آخرون، فاجتمعوا في دار (عبد الله بن جَدعان) وتحالفوا وتعاهدوا بالله ليكونَنّ يداً واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يؤدّى إليه حقه ما أمكنهم ذلك ثم مشوا إلى (العاص بن وائل) فانتزعوا منه سلعة الزبيدي فدفعوها إليه.

وقد أنشد الزبير بن عبد المطلب في ذلك شعراً فقال:

إن الفُضُولَ تعاقَدُوا وتحالفوا ... ألاّ يقيمَ بِبطن مَكَّة ظالم

أمرٌ عليْهِ تَعاقَدُوا وتواثقُوا ... فالجارُ والمُعترُّ فيهم سالمُ

وقد شارك رسول الله ﷺ في هذا الحلف الذي ضمن حقوق

المظلومين وحياتهم، وقد نُقلت عنه ﷺ عبارات كثيرة يشيد فيها بذلك احلف ويعتزُّ فيها بمشاركته فيه وها نحن ننقل حديثين منها في قال ﷺ: «**لقد شهدتُ في دار عبد الله بن جدعان حلفاً لو دُعيتُ به في الإسلام لأجبتُ**».

كما أن ابن هشام نقل في سيرته أن النبي ﷺ كان يقول في ما بعد عن هذا الحلف: «**ما أُحبُّ أنَّ لي بِه حُمُرَ النِعَم**».

ولقد بقي هذا الحلف يحظى بمكانة واحترام قويّين في المجتمع العربي والإسلامي حتى أن الأجيال القادمة كانت ترى من واجبها الحفاظ عليه والعمل بموجبه، ويدل على هذا قضيةٌ وقعت في عهد إمارة (الوليد بن عتبة) الأموي[1] على المدينة.

فقد وقعت بين الإمام الحسين بن علي عليه السلام وبين أمير المدينة هذا منازعة في مال متعلّق بالحسين عليه السلام، ويبدو أن (الوليد) تحامل على الحسين في حقه لسلطانه، فقال له الإمام السبط الذي لم يرضخ لحيف قط، ولم يسكت على ظلم أبداً: «**أحلِفُ باللهِ لتَنْصِفَني مِنْ حقّي، أوْ لآخُذَنَّ سَيْفيْ ثمَّ لأقُومَنّ في مسجد رَسُول الله ﷺ ثمّ لأدْعُونَّ بِحلف الفُضُل**»[2].

---

(1) من قبل عمّه معاوية.

(2) السيرة الحلبية ١: ١٣٢.

فاستجاب للحسين فريقٌ من الناس منهم (عبد الله بن الزبير)، وكرّر هذه العبارة وأضاف قائلاً: وأنا أحلفُ بالله لئن دعا به لآخُذنَّ سيفي ثُمَّ لأقُومَنَّ معه حتَى يُنْصِفَ مِنْ حَقِّه أوْ نَمُوتَ جَميعاً.

وبلغت كلمة الحسين السبط عليه السلام هذه إلى رجال آخرين كالمسورة بن محرمة بن نوفل الزُهري) و (عبد الرحمن بن عثمان) فقالا مثل ما قال (ابن الزبير)، فلما بلغ ذلك (الوليد بن عتبة) أنصف الحسين عليه السلام من حقه حتى رضي[1].

(1) البداية والنهاية ٢: ٢٩٣.



زواج النبي صلى الله عليه وآله بالسيدة خديجة

١٠ / ربيع الأول / السنة ١٥ قبل البعثة

لما تاجر رسول الله صلى الله عليه وآله مضاربة في أموال خديجة، وخرج بقوافلها إلى الشام رجع وفير الربح سريع القدوم، فأخذ - ميسرة - خادمها يخبرها عما رآه بعينه من كرامة محمد ونبله وخلقه وسموه، ولأجل ما كانت تعرفه عنه وما شاع في الأوساط من أخلاقه في قومه رغبت في الزواج منه. قال ابن هشام في (سيرته): «فلما أخبرها ميسرة ما أخبرها بعثت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت له: يا ابن عم إني قد رغبت فيك لقرابتك ووسطتك (عراقتك) في قومك، وأمانتك وحسن خلقك، وصدق حديثك، ثم عرضت نفسها عليه»[١].

رجع النبي صلى الله عليه وآله إلى أعمامه وأخبرهم بذلك، وطلب منهم أن

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١: ٢٣٧.

يخطبوها له، فخرج جمع من بني هاشم يرأسهم أبو طالب إلى ابن عمها ورقة بن نوفل، وقيل: إلى عمها عمرو ابن أسد ليخطبوا خديجة لمحمد صلى الله عليه وآله، فلما استقرّ بهم المقام قام أبو طالب وقال: «الحمد لرب هذا البيت الذي جعلنا من زرع إبراهيم وذرية إسماعيل، وأنزلنا حرماً آمناً، وجعلنا الحكام على الناس، وبارك لنا في بلدنا الذي نحن فيه..

ثم إن ابن أخي هذا من لا يوزن برجل من قريش إلاّ رجح به، ولا يقاس به رجل إلاّ عظم عنه، ولا عدل له في الخلق، وإن كان مقلاً في المال؛ فإن المال رفد جار وظل زائل، وله في خديجة رغبة، وقد جئناك لنخطبها إليه برضاها وأمرها، والمهر عليّ في مالي الذي سألتموه عاجله وآجله، وله ورب هذا البيت حظ عظيم ودين شائع ورأي كامل»[١].

قال القمي قدس سره: «فلم يسعف عمها الرد فغالبت خديجة حياءها وقالت بلسان فصيح: أي عم، إنك وإن كنت الأولى بالكلام في هذا المقام غير أني بما أختاره الأولى، فقد زوجت نفسي منك يا محمد، وأما مهري فهو من مالي»[٢].

---

(١) منتهى الآمال ١: ٥٢.

(٢) المصدر السابق.

فقال أبو طالب: أيها الناس اشهدوا أن خديجة زوجت نفسها من محمد صلى الله عليه وآله، وأنها ضمنت مهرها، فقال بعضهم: عجباً أن تضمن النساء مهورهنّ للرجال!

فانتفض أبو طالب غاضباً وقال: لو كان الأزواج مثل ابن أخي لطلبتهم النساء بأغلى القيم، وأغلى المهور، ولو كان مثلكم لطلبن منهم مهراً غالياً[١].

ثم إن أبا طالب عليه السلام نحر جزوراً لوليمة الزواج، وتم زفاف درة الأنبياء على جوهرة النساء، وأنشد عبد الله بن غنم، فقال:

هنيئاً مريئاً يا خديجة قد جرت ... لك الطير فما كان منك بأسعد

تزوجت من خير البرية كلها ... فمن ذا الذي في الناس مثل محمد

إضاءة من سيرة السيدة خديجة عليها السلام:

كان عمر خديجة عند زواجها بالرسول صلى الله عليه وآله على القول المشهور أربعين سنة[٢].

وكان عمر النبي صلى الله عليه وآله عندما بنى بخديجة خمساً وعشرين سنة. وكانت خديجة آنذاك عذراء لم تتزوج كما يذكر ذلك السيد جعفر

(١) المصدر السابق.

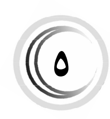
(٢) راجع موسوعة التاريخ الإسلامي ١: ٣٣٣.

مرتضى العاملي المؤرخ المعاصر في كتابه (الصحيح من السيرة) استناداً ما روى عن أحمد البلاذري وأبو القاسم الكوفي في كتابيهما والسيد المرتضى في كتابه الشافي.

فقال السيد جعفر مرتضى: «خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي، كانت تعرف في قومها بـ(سيدة قريش) و(الطاهرة)، فقد كانت ذات حسب وشرف ومال وحزم، وكان رجال قومها حريصين على الزواج بها لو يقدرون، وقد خطبها عظماء قريش، وبذلوا لها الأموال ولم ترض.

وقد كانت جميلة الخلقة، وكريمة الصفات، يعرف الكل سجاياها وكرم خلقها، ومنزلتها في قومها، وكان لها قوافل تجارية تجوب ما حول مكة من البلاد، وكان الكل يرغب في الاتجار معها.

نعم هكذا كانت خديجة، ولما لم تجد من أوصاف النبي السامية في غيره عرضت عليه الزواج بها، فيا للعجب، خديجة ترفض العظماء - بلحاظ الحكم الجاهلي - رغم ما يقدمون من المهور الغالية، وتقبل بالنبي صلى الله عليه وآله وتضمن له مهرها من مالها، بل تهبه كل ما تملك وتضعه تحت تصرفه، كل ذلك لما وجدته فيه من صفات كانت غريبة جداً في مجتمع متردي الأطراف، وكذلك قبل النبي بها لا لشيء سوى سموها وحسن خلقها وطهارتها في قومها، وما كان المال يهمه، ولذا أنفقه بعد البعثة في نشر الإسلام.



المبعث النبوي المبارك

٢٧ / رجب / لأربعين خلت من عام الفيل

اليوم ٢٧ من رجب كان بعثة النبي صلى الله عليه وآله وهبوط جبرئيل بالرسالة على أشهر الأقوال[١] ومن الأعمال الواردة في هذا اليوم العظيم، الغسل، الصيام،زيارة النبي وزيارة أمير المؤمنين عليهما السلام وغيرها من الأعمال يمكنك مراجعة مفاتيح الجنان للإطلاع عليها.

وقد اختلف علماء المسلمين في اليوم والشهر الذي وقع فيه المبعث النبوي على أقوال خمسة ذكرها المجلسي في بحار الأنوار، ومنشأ الاختلاف، الخلط بين مبدأ حدث النبوة، ومبدأ نزول القرآن؛ إذ مما لا يمكن التشكيك فيه أن نزول القرآن على قلب النبي صلى الله عليه وآله كان في ليلة القدر في شهر رمضان، قال تعالى: ﴿**إِنَّآ أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ**

---

(١) راجع بحار الأنوار ١٨: ١٩٠.

مّبَارَكَة إِنّا كُنّا مُنذِرِينَ﴾[١]، وقـال: ﴿**شَـهْرُ رَمَـضَانَ الّـذِيَ أُنْـزِلَ فِيـهِ الْقُرْآنُ**﴾[٢]، وقال: ﴿**إِنّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ**﴾[٣].

ومع هذه البديهة، اتفقت كلمة الإمامية على أن مبعث النبـي صلى الله عليه وآله في السابع والعشرين من رجب، مع أن النبي صلى الله عليه وآله إنما بُعـث بـالقرآن، إذ ترافق مع بعثته نزول بعض الآيات من سورة (اقرأ) كما هو المشهور بين المفسرين، وعليه فكيف يمكننا التوفيق بين ذينك الأمرين؟!

ذكر المحققون وجوهاً للتوفيق بين المبعـث فـي رجـب، وبـدء نزول القرآن في شهر رمضان، ارتقت بعد ذلك إلى مستوى النظريات التي لها أصحابها ومتبنيها وإليك أشهرها:

نظرية النزولين:

ذهب جماعة من أرباب الحديث إلى أن القرآن الكريم نزل فـي ليلة القدر جملة واحدة إلى السماء الرابعة، أي البيت المعمور - كمـا ورد في روايات الخاصة - أو إلى بيت العزة - كما ورد فـي روايـات العامة - وبعد ذلك بدأ نزوله فـي (٢٧ رجـب) علـى رسـول الله صلى الله عليه وآله حسب المناسبات، طول عشرين أو ثلاثة وعشرين عاماً.

---

(١) الدخان: الآية ٣.

(٢) البقرة: الآية ١٨٥.

(٣) القدر: الآية ١.

قال الشيخ الصدوق رحمه الله: نزل القرآن في شهر رمضان في ليلة القدر جملة واحدة إلى البيت المعمور، في السماء الرابعة، ثم نزل من البيت المعمور في مدة عشرين سنة، وأن الله أعطى نبيه العلم جملة واحدة، ثم قال له: **﴿وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾**[1][2].

وقال المجلسي تعقيباً عليه: «قد دلت الآيات على نزول القرآن ليلة القدر، والظاهر نزوله جميعاً فيها، ودلت الآثار والأخبار على نزول القرآن في عشرين أو ثلاث وعشرين سنة. وورد في بعض الروايات أن القرآن نزل في أول ليلة من شهر رمضان، ودلّ بعضها على أن ابتداء نزوله في المبعث، فيجمع بينها بأن في ليلة القدر نزل القرآن جملة من اللوح المحفوظ إلى السماء الرابعة (البيت المعمور) لينزل من السماء الرابعة إلى الأرض تدريجاً. ونزل في أول ليلة من شهر رمضان جملة القرآن على النبي صلى الله عليه وآله ليعلمه هو، ولا يتلوه على الناس، ثم ابتدأ نزوله آية آية وسورة سورة في المبعث أو غيره ليتلوه على الناس[3].

---

(١) طه: الآية ١١٤.

(٢) الاعتقادات للصدوق: ١٠١.

(٣) بحار الأنوار ١٨: ٢٥٣-٢٥٤.

واستدلّ على هذه النظرية بجملة من الروايات، منها - ما رواه المفضل بن عمر عن الصادق عليه السلام قال: «**يا مفضّل، إن القرآن نزل في ثلاث وعشرين سنة، والله يقول: ﴿شهر رمضان الذي أُنْزِلَ فيه القُرآن﴾[1]، وقال: ﴿إِنَّا أَنْزَلْناهُ في لَيْلَة مُبارَكَة إِنَّا كُنَّا مُنْذرِينَ فيها يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكيمٍ﴾[2]، وقال: ﴿لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْه الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً كَذلكَ لنُثَبِّتَ به فُؤادَكَ﴾[3]**.

قال المفضل: يا مولاي فهذا تنزيله الذي ذكره الله في كتابه، فكيف ظهر الوحي في ثلاث وعشرين سنة.

قال عليه السلام: «**نعم يا مفضّل، أعطاه الله القرآن في شهر رمضان، وكان لا يبلّغه إلاّ في وقت استحقاق الخطاب، ولا يؤديه إلاّ في وقت أمر ونهي، فهبط جبرئيل بالوحي، فبلّغ ما يؤمر به، وقوله: ﴿لا تُحَرِّكْ به لسانَكَ لتَعْجَلَ به﴾[4]**.

ومنها ما رواه العياشي عن إبراهيم أنه سأل الصادق عليه السلام عن

---

(١) القيامة: الآية ١٦.

(٢) الدخان: الآيتين ٣-٤.

(٣) الفرقان: الآية ٣٢.

(٤) بحار الأنوار ٨٩: ٣٨.

قوله تعالى: ﴿**شهر رمضان الذي أُنْزِلَ فيهِ القُرآن**﴾[١]، كيف أنـزل فيـه القران، وإنما أنزل القرآن في طول عشرين سنة من أوله إلى آخـره؟! فقال عليه السلام: «**نزل القرآن جملة واحدة فـي شـهر رمـضان إلـى البيـت المعمور، ثم أنزل من البيت المعمور في طول عشرين سنة**»[٢].

وهذه النظرية هي المشهورة بين المحققين وقد اختارها الصدوق والمجلـسي والعلامـة الطباطبـائي فـي (الميـزان)[٣]، والطبـري فـي (تفسيره)[٤]، والسيوطي في (إتقانـه)[٥]، كمـا هـو مـروي عـن عطيـة الأسود عن ابن عباس، وأسند إلـى جـابر بـن عبـد الله الأنـصاري[٦]، وغيرهم.

---

(١) القيامة: الآية ١٦.

(٢) تفسير العياشي ١: ١٨٤/٨٠.

(٣) راجع تفسير الميزان، تفسير سورة القدر.

(٤) تفسير الطبري ٢: ٨٤–٨٥.

(٥) الإتقان في علوم القرآن ١: ٣٩– ٤٠.

(٦) نقله عنهما الطبري ٢: ٨٤– ٨٥.

بماذا بعث النبي محمد صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ[1]

بعث الله تعالى نبيّه محمّداً صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ على حين فترة من الرسل خاتماً للنبيين وناسخاً لشرائع من كان قبله من المرسلين إلى الناس كافة أسودهم وأبيضهم عربيهم وعجميهم وقد ملئت الأرض من مشرقها إلى مغربها بالخرافات والسخافات والبدع والقبائح وعبادة الأوثان.

فقام صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في وجه العالم كافة ودعا إلى الإيمان بإله واحد خالق رازق مالك لكل أمر، بيده النفع والضر، لم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل ولم يتخذ صاحبة، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

بعثه آمراً بعبادته وحده لا شريك له مبطلاً عبادة الأصنام والأوثان التي لا تضر ولا تنفع ولا تعقل ولا تسمع ولا تدفع عن أنفسها ولا عن غيرها ضراً ولا ضيماً، متمماً لمكارم الأخلاق حاثاً على محاسن الصفات آمراً بكل حسن ناهياً عن كل قبيح.

سهولة الشريعة الإسلامية وسماحتها

واكتفى من الناس بأن يقولوا لا إله إلاّ الله محمد رسول الله

---

(1) تجد هذا البحث في سيرة النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ للسيد محسن الأمين العاملي في كتابه أعيان الشيعة.

ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ويصوموا شهر رمـضان ويحجـوا البيـت ويلتزموا بأحكام الاسلام. وكان قول هاتين الكلمتين (لا إلـه إلاّ الله، محمد رسول الله) يكفي لأن يكون لقائلـه مـا للمـسلمين وعليـه مـا عليهم.

سمو التعاليم الإسلامية

وبعث بالمساواة في الحقوق بين جميع الخلق، وأنّ أحـداً لـيس خيراً من أحد إلا بالتقوى. وبالأُخوّة بين جميـع المـؤمنين وبالكفـاءة بينهم: تتكافأ دماؤهم ويسعى بـذمتهم أدنـاهم، وبـالعفو العـام عمـن دخل في الاسلام.

وسنّ شريعة باهرة وقانوناً عادلاً تلقّاه عن الله تعـالى فكـان هـذا القانون جامعاً لأحكام عباداتهم ومعاملاتهم وما يحتاجونه في معاشهم ومعادهم وكان عبادياً اجتماعياً سياسياً أخلاقياً لا يشذّ عنه شيء ممـا يمكن وقوعه في حياة البشر مستقبلاً ويحتاج اليه بنـو آدم، فمـا مـن واقعة تقع ولا حادثة تحدث إلاّ ولهـا فـى الـشريعة الإسـلامية أصـل مسلّم عند المسلمين ترجع اليه.

على أن العبادات في الدين الاسلامي لا تتمحض لمجرد العبـادة ففيها منافع بدنية واجتماعية وسياسية فالطهـارة تفيـد النظافـة، وفـي

الصلاة رياضة روحية وبدنية، وفي صلاة الجماعة والحج فوائد اجتماعية وسياسية ظاهرة، وفي الصوم فوائد صحية لا تنكر، والإحاطة بفوائد الأحكام الإسلامية الظاهرة فضلاً عن الخفية أمر متعذّر أو عسير.

ولما في هذا الدين من محاسن وموافقة أحكامه للعقول وسهولتها وسماحتها ورفع الحرج فيه والاكتفاء بإظهار الشهادتين ولما في تعاليمه من السمو والحزم والجد دخل الناس فيه أفواجاً وساد أهله على أعظم ممالك الأرض واخترق نوره شرق الأرض وغربها ودخل جميع أقاليمها وأقطارها تحت لوائه ودانت به الأمم على اختلاف عناصرها ولغاتها.

ولم يمض زمن قليل حتى أصبح ذلك الرجل الذي خرج من مكة مستخفياً وأصحابه يعذّبون ويستذلون ويفتنون عن دينهم ، يعتصمون تارة بالخروج إلى الحبشة مستخفين وأُخرى بالخروج إلى المدينة متسللين، يدخل مكة بأصحابه هؤلاء في عمرة القضاء ظاهراً لا يستطيعون دفعه ولا منعه ولم تمض إلاّ مدة قليلة حتى دخل مكة فاتحاً لها وسيطر على أهلها من دون أن تراق محجمة دم بل ولا قطرة دم فدخلوا في الإسلام طوعاً وكرهاً وتوافدت عليه رؤساء العرب ملقيةً إليه عنان طاعتها وكان من قبل هذا الفتح بلغ من القوة

أن يبعث برسله وسفرائه إلى ملوك الأرض مثل كسرى وقيصر ومـن دونهما ودعاهم إلى الإسلام وغزا بلاد قيصر مع بُعد الشقة وظهر دينه على الدين كله كما وعده ربه حسبما صرّح تعالى بـذلك فـي سـورة النصر، والفتح وغيرهما وكما تخبرنا بذلك كتب التاريخ.

ولم يقم هذا الدين بالسيف والقهر كما يصوّره من يريد الوقيعـة فيه بل كما أمر الله تعالى: ﴿**ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّـكَ بِالْحِكْمَـةِ وَالْمَوْعِظَـةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾[1] ولم يحارب أهـل مكـة وسـائر العرب حتى حاربوه وأرادوا قتله وأخرجوه، وأقر أهـل الأديـان التـي نزلت بها الكتب السماوية على أديانهم ولم يجبرهم على الدخول في الإسلام.

القرآن الكريم

وانزل الله تعالى على نبيّه حين بعثه بالنبوّة قرآنـاً عربيّـاً مبيّنـاً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وقد أعجز النبي صلى الله عليه وآله به البلغاء وأخرس الفصحاء وتحدّاهم فيه فلم يستطيعوا معارضته وهـم أفـصح العرب بل واليهم تنتهي الفصاحة والبلاغة، وقد حـوى هـذا الكتـاب العزيز المنزل من لدن حكيم عليم من أحكام الدين وأخبار الماضـين

---

(١) النحل: الآية ١٢٥.

وتهذيب الأخلاق والأمر بالعدل والنهي عن الظلم وتبيان كل شيء ما جعله يختلف عن كل الكتب حتّى المنزّلة منها وهو ما يزال يتلى على كر الدهور ومر الأيام وهو غض طري يحيّر ببيانه العقول ولا تملّه الطباع مهما تكررت تلاوته وتقادم عهده.

وقد كان القرآن الكريم معجزة فيما أبدع من ثورة علمية وثقافية في ظلمات الجاهلية الجهلاء وقد أرسى قواعد نهضته على منهج علمي قويم ، فحثّ على العلم وجعله العامل الأوّل لتسامي الإنسان نحو الكمال اللائق به وحثّ على التفكير والتعقّل والتجربة والبحث عن ظواهر الطبيعة والتعمق فيها لاكتشاف قوانينها وسننها وأوجب تعلّم كل علم تتوقف عليه الحياة الاجتماعية للإنسان واهتم بالعلوم النظرية من كلام وفلسفة وتاريخ وفقه وأخلاق، ونهى عن التقليد وإتباع الظن وأرسى قواعد التمسك بالبرهان.

وحثّ القرآن على السعي والجد والتسابق في الخيرات ونهى عن البطالة والكسل ودعا إلى الوحدة ونبذ الفرقة. وشجب العنصرية والتعصبات القبلية الجاهلية.

وأقرّ الإسلام العدل كأساس في الخلق والتكوين والتشريع والمسؤولية وفي الجزاء والمكافأة ، وهو أوّل من نادى بحق المساواة بين أبناء الإنسان أمام قانون الله وشريعته وأدان الطبقية والتمييز

العنصري وجعل مـلاك التفاضـل عنـد الله أمـراً معنويّـاً هـو التقـوى والاستباق إلى الخيرات، من دون أن يجعل هذا التفاضل سبباً للتمـايز الطبقي بين أبناء المجتمع البشري.

وبالغ الإسلام في حفظ الأمن والمحافظة علـى الأمـوال والـدماء والأعراض وفرض العقوبات الشديدة على سلب الأمن بعـد أن شـيّد الأرضية اللازمة لاستقرار الأمـن والعـدل وجعـل العقوبـة آخـر دواء لعلاج هذه الأمراض الاجتماعية بنحو ينسجم مع الحرية التي شـرّعها للإنسان. ومن هنا كان القضاء فـي الـشريعة الإسـلامية مرتكـزاً علـى إقرار العدل والأمن وإحقاق الحقوق المـشروعة مـع كـل الـضمانات اللازمة لذلك.

واعتنى الإسلام بحفظ الصحة والـسلامة البدنيـة والنفـسية غايـة الاعتناء وجعل تشريعاته كلها منسجمة مـع هـذا الأصـل المهـم فـي الحياة.

الواجبات والمحرمات في الإسلام:

وترتكز الواجبات والمحرّمات في الشريعة الإسلامية على أسس فطرية واقعية وأمور تستلزمها طبيعة الأهداف الـسامية للـشريعة التـي جاءت لإخراج هذا الإنسان من ظلمات الجاهليـة وهدايتـه إلـى نـور الحق والكمال ، ولا تحتاج الإنسانية إلى شـيء يرتكـز عليـه الكمـال

البشري إلاّ وأوجبته الشريعة الإسلامية على الإنسان وهيّأت لـه سـبل الوصول إليه ، وحرّمت كل شيء يعيق الإنسان عن السعادة الحقيقيـة المنشودة له وسدّت كل منافذ السقوط إلى هوّة الشقاء.

وأباحت الطيبات ولذائذ الحياة الدنيا وزينتها ممّا لا يخلّ بأصول الشريعة ومدارج الكمـال البـشري وحـدّدت قنواتهـا حـين حـدّدت الأهداف السامية وحرّمت ما يضرّ وأوجبت ما ينبغي للإنسان امتثاله.

ومع ذلك كله فقـد اعتبـرت الـشريعة مكـارم الأخـلاق أهـدافاً أساسيّة ينبغي للإنسان الذكي اللبيب أن يحصل عليها في هذه الحيـاة الدنيا ليسعد بها في الدنيا ويحيا بها فـي الآخـرة ذات الحيـاة الأبديـة الدائمة.

واعتنى الإسلام بالمرأة اعتناءً بالغاً وجعلها ركن العائلة وأسـاس السعادة في الحياة الزوجية وشـرّع لهـا مـن الحقـوق والواجبـات مـا يضمن لها عزّتها وكرامتها وتحقيق سعادتها وسعادة أبنائها ومجتمعهـا الإنساني.

وصفوة القول أنّ الإسلام لم يغفل عن تـشريع كـل مـا يحتاجـه المجتمع البشري في تكامله وارتقائه.



الإسراء والمعراج

٢٧ / رجب/ السنة ٣ للبعثة[1]

لا إشكال ولا خلاف في وقوع الإسراء، وأن الله تعالى أسرى بنبيه صلى الله عليه وآله من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ويدلّ عليه قوله تعالى: ﴿**سُبْحانَ الَّذي أَسْرى بِعَبْدِه لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِد الْحَرامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بارَكْنا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾[2]. وكذا معراجه صلى الله عليه وآله من المسجد الأقصى إلى السماوات العلا، ويمكن الاستدلال على ثبوته بأحد الدليلين الآتيين أو بكليهما: الأول: بعض من آيات سورة النجم الثاني: كثرة الأخبار الواردة في

---

(1) وهُناك قولان آخران في المسألة، أحدهما أن الإسراء والمعراج كانا في ١٧ من شهر رمضان، والقول الثاني ١٧ من شهر ربيع الأول.

(٢) الإسراء: الآية ١.

المعراج.

الدليل الأول: الآيات من سورة النجم، قال تعالى: ﴿**وَالنَّجْمِ إِذا هَوى ما ضَلَّ صاحِبُكُمْ وَما غَوى وَما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحى عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوى ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوى وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلى ثُمَّ دَنا فَتَدَلَّى فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى فَأَوْحى إِلى عَبْدِهِ ما أَوْحى ما كَذَبَ الْفُؤادُ ما رَأى أَ فَتُمارُونَهُ عَلى ما يَرى وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهى عِنْدَها جَنَّةُ الْمَأْوى إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ ما يَغْشى ما زاغَ الْبَصَرُ وَما طَغى لَقَدْ رَأى مِنْ آياتِ رَبِّهِ الْكُبْرى**﴾[1].

فإنّ هذه الآيات تحكي رؤية النبي صلى الله عليه وآله لجبرئيل على هيئته الواقعية والأصلية، لأن جبرئيل كان يصغر كلما أراد الهبوط إلى النبي صلى الله عليه وآله[2]، ولكن هذه المرة رآه على صورته الأصلية بالأفق، ثم أخذ جبرئيل يقترب من النبي صلى الله عليه وآله ويدنو منه حتى كان بينهما ما بين قاب قوسين أو أدنى.

ولكي تدلّ هذه الآيات على المعراج، يلزم رجوع الضمير في قوله: ﴿**وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلى**﴾ وفي سائر الآيات إلى النبي صلى الله عليه وآله ليصبح المعنى؛ أن النبي صلى الله عليه وآله عندما كان بالأفق رأى جبرئيل على صورته

---

(1) النجم: الآيات ١– ١٨.

(٢) المعراج للسيد دستغيب رحمه الله: ٣٢.

الأصلية. أما لو رجع الضمير إلى «ذو مرة» الذي هو جبرئيل - كما استظهره بعض المحققين وأدعى وجود رواية صحيحة الإسناد على ذلك - فلا دلالة فيها على المعراج أبداً.

الدليل الثاني: كثرة الأخبار الواردة في المعراج، والتي يمكن دعوى تواترها القطعي، بحيث لا تدع مجالاً للشك في وقوعه.

وما قد يقال: هناك تعارض بين آية الإسراء، وبين الروايات الدالة على المعراج، على اعتبار أن الآية تدل على أن انتهاء السريان كان إلى المسجد الأقصى، ولم يكن سير بعده.

والجواب: إن الآية بصدد بيان الرحلة الأولى بين المسجدين، ولم تنف وجود رحلة أخرى، فما تعطيه الروايات غير ما تعطيه الآية.

وبعد هذا فلا يبقى مجال للتشكيك في الإسراء والمعراج، وأن مجرد عدم تعقل خصوصياتهما من قلة الزمن الذي وقعا فيه، أو ما شاكل ذلك لا يذهب بحقانيتهما، بعدما عرضناه من أدلة.

نعم إن كان خلاف ففي أمرين:

الأمر الأول: في تاريخهما: حيث ذهب مشهور المؤرخين إلى أنهما وقعا قبل الهجرة بمدة وجيزة، كستة أشهر، كما عن بعضهم، أو بسنة كما عن بعض آخر، أو بسنتين كما عن ثالث، وهناك من قال

بوقوعهما بعد الهجرة[١] ولكنه نادر جداً، ومخالف لكون الإسراء، من المسجد الحرام الذي دلت عليه الآية.

في قبال ذلك ما ذهب إليه جماعة منهم الزهري من أنهما في السنة الثانية من البعثة[٢]، وقيل في الخامسة، وقيل في الثالثة[٣].

والأرجح وقوعه في السنة الثالثة أو الرابعة للبعثة لوجوه، منها:

أولاً – ما روي عن علي عليه السلام قال: «إن الإسراء قد كان بعد ثلاث سنين من مبعثه»[٤].

ثانياً – ما روي عن ابن عباس، وسعد بن مالك، وسعد بن أبي وقاص، والإمام الصادق عليه السلام، وعمر بن الخطاب، وعائشة: من أن النبي صلى الله عليه وآله قال لعائشة – حينما عاتبته على كثرة تقبيله ابنته فاطمة عليها السلام –: نعم يا عائشة؛ لما أسري بي إلى السماء أدخلني جبرئيل الجنة، فناولني منها تفاحة، فأكلتها، فصارت نطفة في صلبي، فلما نزلتُ واقعتُ خديجة، ففاطمة من تلك النطفة، ففاطمة حوراء

---

(١) تاريخ الخميس ١: ٣٠٧.

(٢) بحار الأنوار ١٨: ٣١٩.

(٣) البداية والنهاية ٣: ١٠٨.

(٤) بحار الأنوار ١٨: ٣٧٩.

إنسية، وكلما اشتقت إلى الجنة قبّلتها[١].

وقد ثبت بالتحقيق أنّ فاطمة قد ولدت بعد البعثة بخمس سنوات، فلابد وأن يكون الإسراء والمعراج، على ضوء هذه الرواية – قبل ذلك بأكثر من تسعة أشهر، فتكون حادثة الإسراء والمعراج في السنة الرابعة إن حملت خديجة بعدها مباشرةً، وإن احتمل – لأجل الرواية الأولى تأخر الحمل عن ذلك بسنتين.

الأمر الثاني – اختلفوا أيضاً في أن الإسراء والمعراج كانا جسمانيين، أم روحانيين، بمعنى هل فعلاً خرج النبي ﷺ بجسمه من مكة إلى المسجد الأقصى، ثم عرج بجسمه إلى السماء، فكان كلّ ما رآه بجسده، أو أنها كانت رؤيا رآها ﷺ في نومه؟

يرى البعض: أنهما كانا بالروح فقط في عالم الرؤيا، كما روي عن عائشة قولها: ما فقدت جسد رسول الله ﷺ[٢]، وعن معاوية: أنها رؤيا صالحة[٣]، وحكي مثله عن الحسن البصري[٤].

لكن الصحيح – على ما ذهب إليه الإمامية والكم الساحق من

---

(١) ميزان الاعتدال ٢: ٢٩٧، وتاريخ بغداد ٥: ٨٧.

(٢) تاريخ الخميس ١: ٣٠٨.

(٣) المصدر السابق ١: ٣٠٩.

(٤) راجع الصحيح من سيرة النبي الأعظم ٣: ١٦.

جمهور علماء إخواننا أهل السنة - أنه إنما كان بالروح والجسد معاً، فلا ينظر بعد هذا لما روته عائشة؛ لأنها إذ ذاك لم تكن زوجة له صلى الله عليه وآله، إذ أن زواج النبي صلى الله عليه وآله بها كان في السنة الأولى أو الثانية من الهجرة، والإسراء والمعراج كانا في السنة الثالثة للبعثة وعلى ما ذكره أبعد الأقوال في السنة الثانية عشر من البعثة، وأما معاوية فلا يعتمد على قوله، بعد ما علم من محاربته للدين ورموزه.

أضف إلى ذلك، أن الآية تذكر: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىَ بِعَبْدِهِ**﴾[1] ولفظ العبد إنما يطلق على مجموع الروح والجسد، فلو كان مناماً، لكان حق الخطاب: (سبحان الذي أسرى بروح عبده)، وأيضاً لو كانت مجرد رؤية صالحة ذكرها النبي صلى الله عليه وآله للمشركين لما أنكروها عليه، ولما ضجّ الناس حتى أدى ذلك إلى ارتداد بعض من أسلم، خصوصاً أن الرؤيا الصالحة كثيراً ما كانت تحصل في مجتمع مكة، وأيضاً رووا أن المشركين سألوا النبي صلى الله عليه وآله عن عدد أعمدة المسجد الأقصى، وعن علامة صدق قوله، فأخبرهم بعددها بعد أن أظهر له جبرئيل المسجد نصب عينيه، وذكر لهم سقاء قافلتهم، وضياع جمل من جمالها، وهذا المطلب لا يتأتى منهم لو كان النبي صلى الله عليه وآله قد أدّعى

---

(١) الإسراء: الآية ١.

مجرّد الرؤيا، بل يكشف عن أنّ وإسرائه كان بروحه وجسده معاً، ومن هنا، ولعدم إيمان المشركين وتصديقهم به طلبوا منه ﷺ ما طلبوه، هذا بالنسبة إلى إسراءه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وأمّا معراجه ﷺ من المسجد الأقصى إلى السماء فأيضاً المشهور عند الإمامية أنه كان بروحه وجسده وإن كان هناك أقوال أخرى تشير إلى أنه كن بالروح فقط[١].

بعض ما رآه النبي ﷺ في المعراج:

قال رسول الله ﷺ - في حديثه عن معراجه لما رأى النار -: ثم مضيت، فإذا أنا بقوم يريد أحدهم أن يقوم فلا يقدر من عظم بطنه، فقلت: من هؤلاء يا جبرئيل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون الربا لا يقومون إلاّ كما يقوم الذي يتخبطّه الشيطان من المس..

ثم مضيت، فإذا أنا بقوم بين أيديهم موائد من لحم طيب ولحم خبيث، يأكلون اللحم الخبيث، ويدعون الطيب، فقلت من هؤلاء يا جبرئيل؟ فقال: هؤلاء يأكلون الحرام ويدعون الحلال وهم من أمتك يا محمد[٢].

---

(١) لمزيد الإطلاع راجع تفاسير آيات الإسراء والمعراج في كتب التفاسير لاسيما تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي قدس سره.

(٢) راجع الصحيح من سيرة النبي الأعظم ١٨: ٣٢٣.

وقال ﷺ لعلي وفاطمة عليهما السلام فيما رآه في معراجه:

رأيت امرأة معلّقة بشعرها يغلي دماغ رأسها.

ورأيت امرأة معلّقة بلسانها والحميم يصب في حلقها.

ورأيت امرأة معلّقة برجليها في تنور من نار.

ورأيت امرأة يُحرق وجهها ويداها، وهي تأكل أمعاءها.

ثم طلبت فاطمة عليها السلام منه ﷺ أن يبين لهما الذنوب التي اقترفتها كل واحدة فاستوجبت هذا العذاب، فقال:

أما المعلقة بشعرها، فإنها كانت لا تغطي شعرها من الرجال.

وأما المعلقة بلسانها، فإنها كانت تؤذي زوجها.

وأما المعلقة برجليها، فإنها كانت تخرج من بيتها بغير إذن زوجها.

وأما التي كانت تأكل لحم جسدها، فإنها كانت تزين بدنها للناس[1].

وهُناك أشياء أخرى متنوعة رآها النبي ﷺ في معراجه فمن أراد الإطلاع عليها فليراجع الكتب المدونة في هذا الموضوع ومنها المصدر المذكور.

---

(١) بحار الأنوار ١٨: ٣٥٢.



النبي صلى الله عليه وآله في شعب أبي طالب

السنة ٨ – ٩ – ١٠ للبعثة

حين أسرع الإسلام ينتشر في مكة وأصبح كياناً يقض مضاجع المشركين وخطراً كبيراً يهدد مصالحهم؛ عمد المشركون إلى أسلوب الغدر والقهر لإسكات صوت الرسالة الإسلامية، فشهروا سيوف البغي ولم يتوان أبو طالب في إحكام الغطاء الأمين للرسول صلى الله عليه وآله، لما له من هيبة ومكانة شريفة في نفوس زعماء قريش الذين لم يجرؤا على النيل من النبي صلى الله عليه وآله لأن ذلك يعني مواجهة علنية مع أبي طالب وبني هاشم جميعاً، وقريش في غنىً عن هذه الخطوة الباهظة التكاليف.

فاتجهوا نحو المستضعفين من المسلمين من العبيد والفقراء فأذاقوهم ألوان التعذيب والقهر والمعاناة ليردوهم عن دينهم وتمسكهم بالنبي صلى الله عليه وآله، ولم تلق قريش غير الصمود والإصرار على

الإسلام والالتزام بنهج الرسالة الإسلامية، فوجد رسول الله ﷺ أفضل حل لتخليص المستضعفين من المسلمين هو الخروج من مكة إلى الحبشة[1].

ولما لم يبق في مكة من المسلمين إلا الوجهاء والشخصيات فقد كانت المواجهة الدموية هي أبعد ما يكون، وعندها سقطت كل الخيارات، ولم يبق أمام قريش إلا أن تلجأ إلى عمل يضعف الرسول ﷺ ويجنبها القتال، فكان قرارهم حصار بني هاشم ومن معهم اجتماعياً واقتصادياً باعتبارهم الحماية التي تقي الرسول من بطش قريش، فبدأت معركتها السلبية مع بني هاشم.

وتجمع المسلمون وبنو هاشم في شعب أبي طالب لتوفير سبل الحماية بصورة أفضل، حيث يمكن إيجاد خطوط دفاعية لمواجهة أي محاولة هجومية قد تقوم بها قريش[2].

وللمزيد من الاحتياط والحرص على سلامة حياة الرسول ﷺ كان أبو طالب يطلب من ولده علي أن يبيت في مكان الرسول ليلاً حرصاً على سلامته من الاغتيال والمباغتة من قبل الأعداء من خارج

---

(1) سيرة ابن هشام ١: ٣٢١.

(2) سيرة ابن هشام ١: ٣٥٠، وإعلام الورى ١: ١٢٥.

الشعب[1]، وكان علي عليه السلام يُسارع على الامتثال لأوامر والده ويضطجع في فراش النبي صلى الله عليه وآله فادياً نفسه من أجل الرسالة وحاملها.

ولم يكتف علي عليه السلام بهذا القدر من المخاطرة بنفسه، بل كان يخرج من الشعب إلى مكة سراً ليأتي بالطعام إلى المحاصرين[2]، إذ اضطروا في بعض الأيام أن يقتاتوا على حشاش الأرض.

لم يكن لأحد أن يقوم بمثل هذه الأعمال في تلك الفترة العصبية إلا من ملك جناناً ثابتاً وقلباً شجاعاً ووعياً رسالياً وحباً متفانياً للرسول صلى الله عليه وآله، ذلك هو علي ابن أبي طالب عليه السلام الذي قضى في الشعب جزءً من زهرة شبابه.

---

(1) البداية والنهاية لابن كثير ٣: ٨٤.

(2) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٣: ٢٥٦.



النبي صلى الله عليه وآله في عام الحزن

شهر رمضان / السنة ٣ قبل الهجرة

قال اليعقوبي: توفيت خديجة في العاشر من شهر رمضان قبل الهجرة بثلاث سنين، ولها من العمر ٦٥ سنة، وتوفي أبو طالب بعد خديجة بثلاثة أيام وله من العمر ٨٦ سنة، وقيل: تسعون سنة، فسمى رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك العام بعام الحزن، وقال الراوندي في قصص الأنبياء: (٢: ١٢١) عكس ذلك، لقد توفي أبو طالب في السابع من شهر رمضان قبل الهجرة بثلاث سنين، وتوفيت خديجة بعد أبي طالب بثلاثة أيام، كما أن هناك رواية تعتبر وفاة أبي طالب في شهر رجب، ولكن المشهور ما ذكرناه من وفاته في شهر رمضان[١].

(١) راجع بحار الأنوار: ٤٢.

أبو طالب كافل الرسولﷺ وناصره:

أبو طالب: هو عبد مناف بن عبد المطلب بـن هاشـم بـن عبـد مناف بن قصي لُقّب بأبي طالب، وسيد البطحاء، وشيخ قريش، رئيس مكة، و«أبو طالب» لقب غلب عليه، حتى لم يعد أحد يناديـه باسـمه الأصلي «عبد مناف».

كان أبو طالب يتمتع بشخصية قويـة مُهابـة فـي نفـوس قومـه، وكانت رئاسة قريش وبني هاشم بعد عبد المطلب له، ولم يكـن هـو الابن الأكبر لعبد المطلب، ولم يكن غنياً، ولذا قيـل: لـم يكـن أحـد يسود قريشاً بلا مال سوى أبا طالـب، وكانـت لعبـد المطلـب علاقـة خاصة بولده أبي طالب، لما كان يعرفه من علـوّ منزلتـه، ولـذا طلـب عبد المطلب منه أن يتولّى كفالة النبيﷺ من بعده، فكان أبـو طالـب عند حسن ظنّ أبيه، فرعاه وعطف عليـه، وكـان يقدمـه علـى أبنائـه أجمعين[1]، وكان يقول:

إنّ ابـن آمنـة النبـي عنـدي يفـوق منـازل

وكان يحبّه حباً شديداً، وكـان لا ينـام إلاّ إلـى جنبـه، ويخـرج فيخرج معه، وكان يخصّه بالطعام، فإذا أكل عيال أبي طالب جميعاً أو

---

(١) سيرة ابن هشام ١: ١٧٩ وتاريخ اليعقوبي ١: ٣٣٥.

(٢) ديوان أبي طالب: ٣٣، وتاريخ ابن عساكر ١: ٢٦٩.

فرادى لم يشبعوا، وإذا أكل معهم رسول الله ﷺ شبعوا، فيقول أبو طالب: إنّك لمبارك.

وهكذا فاطمة بنت أسد، زوجة أبي طالب فإنّها كانت تفضّل الرّسول ﷺ على أولادها، وكانت له بمنزلة الأم الحنونة، فتربّى في حجرها، فكان رسول الله ﷺ دائماً يذكرها بخير وكان شاكراً لبرِّها، وكان يُسميها «أمي»، ولما توفيت كفّنها رسول الله ﷺ بقميصه، وأمر أن يحفر قبرها في البقيع، فلما بلغوا لحدها حفره بيده واضطجع فيه وقال: «**اللهم اغفر لأُمي فاطمة بنت أسد، ولقّنها حجّتها ووسّع عليها مدخلها**».

وهكذا واصل أبو طالب رعايته ونصرته لرسول الله ﷺ طيلة الاثنين والأربعين عاماً التي قضاها معه، وأخذ يبلّغ النبي ﷺ دعوته كما أمره اللّه تعالى، ولم تشدّد قريش من مواجهتها للنبي ﷺ حتى بدأ رسول اللّه يهاجم آلهتهم، ولعلمها بأن وراء النبي محمد ﷺ قوة لا يمكن تجاوزها قد تمثلت في أبي طالب وبني هاشم الذين أعلنوا بلسان أبي طالب أنهم حماة النبي ﷺ، ولذا اجتمعت قريش عدة اجتماعات وقرّروا عدة قرارات، علّها تثني الرسول وعمّه، أو تساهم في عزل النبي محمد ﷺ عن بني هاشم وعبد المطلب، ومن بين هذه القرارات، المحاصرة والمقاطعة الاقتصادية ثلاث سنوات في شعب

أبي طالب.

إنّ أبا طالب لم يتخل عن حماية ونصرة الرّسول صلى الله عليه وآله حتى آخر لحظات عمره الشريف، بحيث أوصى أقاربه وأصحابه بأن يدافعوا عنه وينصروه، ولذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله يحب أبا طالب ويثني عليه طيلة حياته، ولمّا سمع بموته حزن عليه حزناً شديداً، ثم قال لعلي عليه السلام: **امضِ فتول غسله، فإذا رفعته على سريره فاعلمني**. ففعل فاعترضه رسول الله صلى الله عليه وآله وهو محمول على رؤوس الرجال، فقال صلى الله عليه وآله: «**يا عم جزيت خيراً، فلقد ربّيت وكفلت صغيراً ونصرت وآزرت كبيراً، أما واللّه لأستغفرنّ لك ولأشفعنَّ فيك شفاعة يعجب لها الثقلان**»[1]، ثم دفن في مقبرة الحجون.

هذا بعض ما جاء في حق أبي طالب عليه السلام عمّ النبي صلى الله عليه وآله وأمّا ما جاء في حق زوجته خديجة الكبرى عليها السلام فقد مرّ ذكر فضائلها ومواقفها مع رسول الله صلى الله عليه وآله في ذكر قصة زواجها به صلى الله عليه وآله في العاشر من ربيع الأول السنة ١٥ قبل البعثة.

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٤: ٧٦ من كتاب له إلى معاوية، ذكر في إيمان أبي طالب، وتاريخ ابن كثير ٣: ١٢٥، وتاريخ اليعقوبي ١: ٣٥٥ باب وفاة خديجة وأبو طالب.



هجرة النبي صلى الله عليه وآله إلى مدينة يثرب

١ ربيع الأول/ السنة ١٣ للبعثة

كان النبي صلى الله عليه وآله يعيش في مكة بمنعة عمه أبي طالب رحمه الله، وكانت لا تجترئ عليه قريش، ولا يمكنهم النيل منه ما دام أبو طالب إلى جانبه، وخوفاً من سيوف بني هاشم، غير أنه بعد رحيل أبي طالب فقد النبي صلى الله عليه وآله ناصره ومعينه، وانكشف أمام قريش، فبدأت بحياكة المؤامرات لاغتياله، وبدأ بذلك النبي صلى الله عليه وآله مرحلة جديدة في مواجهة قريش، وهي الخروج من مكة ليدعو إلى دينه بمعزل عن أولئك الذين كابدوه وعاندوه وأحاطوا به الدوائر، فاختار الرحيل إلى الطائف علّه يجد مناصراً لدينه في بني ثقيف، غير أنهم قابلوه بأن سلطوا عليه صبيانهم وغلمانهم يرمونه بالحجارة والأشواك وغيرها، فبعد عشرة أيام من مكوثه هناك لم تتجاوب معه ثقيف، فأيس صلى الله عليه وآله

منهم وأقفل عائداً إلى مكة يترقّب مواسم الحج والعمرة ليلتقي بالقوافل فيعرض دينه عليها، لعلّه يجد من يدعو لنشره في بلادهم بعيداً عن مكة حيث لا أبو جهل ولا أبو سفيان ولا غيرهما من صناديد الشرك وفراعنته.

وبينما كان النبيﷺ ذات يوم جالساً في حِجر إسماعيل يذكر ربه ويناجيه؛ إذ مرّ به أسعد بن زرارة، وكان قد قدم من يثرب يطلب من قريش مؤازرته وقومه على الأوس، فتقدم من النبيﷺ فقال له: إلى ما تدعو يا محمد؟!! فقال ﷺ: إلى شهادة أن لا إله إلاّ الله، وأني رسول الله، وأدعوكم إلى «ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً»[١]...

فلما سمع أسعد ذلك أسلم، وقال: بأبي أنت وأمي أنا من أهل يثرب من الخزرج، وبيننا وبين إخوتنا من الأوس حبال مقطوعة، فإن وصلها الله بك فلا أحد أعزّ منك، والله يا رسول الله لقد كنّا نسمع من اليهود، خبرك، وكانوا يبشّروننا بخروجك، ويخبروننا بصفتك، وأرجو أن نكون دار هجرتك وعندنا مقامك، فقد أعلمنا اليهود ذلك، فالحمد لله الذي ساقنا إليك، والله ما جئت إلاّ لأطلب الحلف على قومنا، وقد أتانا الله بأفضل مما أتيتُ له، ثم رجع إلى المدينة وأخبر

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢: ٢٣٥.

بأمر النبي صلى الله عليه وآله، وشاع خبره فيها، ودخل في الإسلام عدد كبير[١]، حتى إذا كان في العام المقبل وافى الموسم من أهل يثرب اثنا عشر رجلاً، فلقوه بالعقبة وبايعوه على أن لا يشركوا بالله شيئاً، ولا يسرقوا ولا يزنوا، ولا يقتلوا أولادهم، ولا يأتوا ببهتان يفترونه بين أيديهم وأرجلهم، ولا يعصوه في معروف، وإنهم إن وفوا بذلك كان لهم الجنة، وإن غشوا في ذلك شيئاً، فأمرهم إلى الله إن شاء عذب وإن شاء غفر.

وقد طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وآله أن يبعث معهم من يعلمهم القرآن وأحكام الإسلام، ويفقههم في الدين، فأرسل معهم مصعب بن عمير[٢].

وكان مصعب حريصاً جداً على الدعوة إلى الإسلام، وعلى انتشاره في المدينة، فكان يدعو إلى الإسلام، ويعلّم من أسلم القرآن وأحكام الإسلام، حتى دخل في الإسلام خلق كثير، وفي العام المقبل أقبل مصعب في موسم الحج مع وفود المدينة تدعو رسول الله صلى الله عليه وآله ليهاجر إليهم، وبايعوه على النصرة، وعلى أن يمنعوه ما يمنعوا منه

---

(١) البداية والنهاية ٣: ١٥٨.

(٢) البداية والنهاية ٣: ١٥٨، وتاريخ اليعقوبي ٢: ٣٧– ٣٨، وتاريخ الخميس ١: ٣٢١.

أولادهم وأهليهم، فقبل النبي صلى الله عليه وآله الهجرة إليهم[١].

وبعد ذلك أخذ النبي صلى الله عليه وآله يأمر أصحابه بالهجرة إلى المدينة، فأخذ الرجل والرجلان والثلاثة، يركبون سواد الليل مهاجرين إلى المدينة، وكان ينتظر رسول الله صلى الله عليه وآله الأمر الإلهي في هجرته.

قريش تتآمر لقتل النبي صلى الله عليه وآله:

لما علمت قريش أن المسلمين قد صاروا إلى يثرب، وقد دخل أهلها الإسلام، قالوا: هذا شر شاغل لا يطاق. فأجمعوا أمرهم على قتل رسول الله صلى الله عليه وآله في ليلة معينة، وكانوا قد انتخبوا من كل قبيلة فارساً حتى بلغ عددهم خمسة عشر رجلاً ينتظرون خروج النبي صلى الله عليه وآله لصلاة الصبح فيغيرون عليه فيضربونه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه بين العرب، ولا تطلب بنو هاشم بثأره فيقبلون بالدية، ويروى أن من دبر لهم هذه الحيلة إبليس الذي اجتمع معهم في دار الندوة بصفة رجل نجدي[٢].

وأمره الله أن يأمر علياً عليه السلام بالمبيت في فراشه، فخرج النبي صلى الله عليه وآله في فحمة العشاء والرصد من قريش قد أطافوا بداره ينتظرون، وقد قرأ عليهم قوله تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً وِمِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً**

(١) البداية والنهاية ٣: ١٥٨، وتاريخ اليعقوبي ٢: ٣٧– ٣٨، وتاريخ الخميس ١: ٣٢١.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢: ٣٩.

فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ﴾[١]، وأخذ بيده قبضة من تراب فرمى بها على رؤوسهم، ومرّ من بينهم، فما شعروا به، وأخذ طريقه إلى غار ثور[٢].

أدركت قريش الأمر، فركبوا في طلب النبيﷺ، واقتفوا أثره، حتى وصل القافي إلى نقطة لحوق أبي بكر به، فأخبرهم أن من يطلبونه صار معه رجل آخر، فاستمروا يقتفون الأثر حتى وصلوا إلى باب الغار، فصرفهم الله عنه، حيث كانت العنكبوت قد نسجت على باب الغار وباضت في مدخله حمامة وحشية، فاستدلوا من ذلك على أن الغار مهجور ولم يدخله أحد، وإلا لتخرق النسج، وتكسّر البيض، ولم تستقر الحمامة الوحشية على بابه[٣].

وبعد أن بقي النبيﷺ وصاحبه أبي بكر في غار ثور ثلاثة أيام وقد أشار القرآن إلى ذلك على لسان رسول الله ﷺ: ﴿**إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنّ اللهَ مَعَنَا**﴾[٤] وفي هذه الأيام الثلاثة كان يتردد خلالها أمير المؤمنينعليه السلام عليهما، حتى إذا كانت ليلة اليوم الرابع هيأ عليعليه السلام بأمر النبيﷺ ثلاث رواحل ودليلاً أميناً يدعى أريقط

---

(١) يس: الآية ٩.

(٢) السيرة الحلبية ٢: ٢٨٠.

(٣) تاريخ الخميس ١: ٣٢٨، والبداية والنهاية ٣: ١٨١– ١٨٢.

(٤) التوبة: الآية ٤٠.

ليترحلوها إلى المدينة ويدلهم الدليل على طريقها[١].

أوصى النبي صلى الله عليه وآله علياً في تلك الليلة بأن يؤدي أمانته على أعين الناس، وذلك بأن يقيم صارخاً بالأبطح غدوة وعشياً: «**ألا من كان له قبل محمد أمانة أو وديعة فليأت فلنؤد إليه أمانته**»[٢].

ثم أوصاه صلى الله عليه وآله بالفواطم وهنّ: فاطمة الزهراء عليها السلام، وفاطمة بنت أسد أم علي عليها السلام، وفاطمة بنت الزبير، وبكل من يريد الهجرة معه[٣]، وقال له عبارته المشهورة: «**إنهم لن يصلوا من الآن إليك يا علي بأمر تكرهه حتى تقدم علي**»[٤].

ولما أمن النبي صلى الله عليه وآله الطلب خرج من غار ثور متوجهاً وصاحبه (أبي بكر) إلى يثرب، سالكين إلى ذلك الخط الساحلي، وقد جاء ذكر المنازل التي مُّرا بها في (السيرة النبوية) لابن هشام، فراجع[٥].

ثم سار رسول الله صلى الله عليه وآله حتى بلغ خيمة أم معبد، فنزل بها، وطلبوا عندها قِرى، فقالت ما يحضرني شيء، فنظر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى شاة في ناحية قد تخلفت من الغنم لضرها، فقال صلى الله عليه وآله: أتأذنين في حلبها؟

---

(١) راجع السيرة النبوية لابن هشام ١: ٤٨٨.

(٢) الكامل في التاريخ ٢: ٧٣.

(٣) سيد المرسلين ١: ٦٠٢– ٦٠٣.

(٤) المصدر السابق.

(٥) السيرة النبوية لابن هشام ١: ٤٩١.

قالت: نعم، ولا خير فيها، فمسح يده على ظهرها، فصارت أسمن ما يكون من الغنم، ثم مسح يده على ضرعها، فأرخت ضرعاً عجيباً، ودرّت لبناً كثيراً، فطلب صلى الله عليه وآله العس، وحلب لهم فشربوا جميعاً حتى رووا.

ثم عرضت عليه أم معبد ولدها الذي كان كقطعة لحم، لا يتكلم ولا يقوم فأخذ تمرة فمضغها وجعلها في فيه، فنهض في الحال ومشى وتكلم، وجعل نواها في الأرض فصارت نخلة في الحال، وقد تهدّل الرطب منها، وأشار إلى جوانبها فصار مراعي.

ويروى أنه لما توفي صلى الله عليه وآله لم ترطّب، ولما قتل علي عليه السلام لم تخضر، ولما قتل الحسين عليه السلام سال منها الدم[1].

فلما عاد أبو معبد، ورأى كل ذلك فسأل زوجته عن سببه قالت: مرّ بي رجل من قريش ظاهر الوضاءة، أبلج الوجه، حسن الخلق، لم تعبه ثجلة (خلة)، ولم تزر به صحلة (صقلة)، وسيم، في عينيه دعج، وفي أشفاره عطف، وفي صوته صحل، وفي عنقه سطع، وفي لحيته كثاثة، أزج، أقرن، إن صمت فعليه الوقار، وإن تكلم سما وعلاه البهاء، أكمل الناس وأبهاهم من بعيد، وأحسنه وأعلاه من قريب، حلو المنطق فصل، لا نزر ولا هذر، كأن منطقه خرزات نظمن

---

(١) تاريخ الخميس ١: ٣٣٥.

يتحدرن، ربعة لا تشنؤه من طول، ولا تقتحمه العين من قصر، غصن بين غصنين، وهو أنظر الثلاثة منظراً، وأحسنهم قدراً... محفود محشود لا عابس ولا مفند..»[١]، وهذا الوصف مشهور ومعروف لأم معبد[٢].

وليس هذا بالشيء العجيب أو الكثير على رسول الله ﷺ فمريم العذراء أنبت الله لها من جذع النخلة رطباً جنياً يتساقط عليها، وأخرج لها الماء من تحت قدميها، فكيف به ﷺ وهو سيد الكائنات، وأشرف الخلق وأكرمهم على الله من الأولين والآخرين إلى يوم الدين، وقد ظهرت على يديه الكثير من المعجزات والكرامات مما ينوء عن حمل ما سجل منه العصبة أولوا القوة.

كما أن حصول هذه الكرامات بعد مصاعب الهجرة مباشرة إنما يؤكد أنه قد كان من الممكن أن تتم الهجرة بتدخل من العناية الإلهية، ولكن الله تعالى أبى أن تجري الأمور إلا بأسبابها، وليكون هذا الرسول هو الأسوة الحسنة، والقدوة لكل أحد في مواجهة مشاكل الحياة، وتحمل أعباء الدعوة إلى الله بكل ما فيها من متاعب، ومصاعب وأزمات، فإن للأزمات التي يمرّ بها الإنسان دور رئيس في

---

(١) تاريخ الخميس ١: ٣٣٤، ودلائل النبوة للبيهقي ١: ٢٧٩، والسيرة الحلبية ٢: ٤٩ – ٥٠.

(٢) تاريخ الخميس ١: ٣٣٥.

صنع خصائصه وبلورتها، وتجعله جدياً في موقفه، فإنه إذا كان هدف الله سبحانه، وهو إعمار هذا الكون بالإنسان، فإن الإنسان الخامل الذي يعتمد على الخوارق والمعجزات لا يمكنه أن يقوم بمهمة الإعمار هذه، فهذا إذاً مما يساعد على تربية الإنسان وتكامله في عملية إعداده ليكون عنصراً فاعلاً وبانياً ومؤثّراً، لا منفعلاً ومتأثّراً فحسب[1].

وقد نهج المسلمون - كسائر الأمم - أن يؤرخوا الحوادث والأيام وما في ذلك من مناسبات مهمة تشكّل الجزء الأكبر من حضارة المسلمين، فعمدوا إلى الهجرة المباركة للرسول الأعظم ﷺ من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، في السنة الثالثة عشر من البعثة فجعلوها مبدءاً للتاريخ، لأنّها كانت بداية تشكيل الحكومة والخلافة الإسلامية الكبرى.

فإذا بنى هذا التاريخ وحسب على دوران القمر على الأرض يسمى التاريخ الهجري القمري وإذا بنى وحسب على دوران الأرض على الشمس يسمى التاريخ الهجري الشمسي.

---

(١) الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ٤: ٨٧ – ٨٨.



بناء أول مسجد في الإسلام

١٢ / ربيع الأول / السنة ١٣ للبعثة

وصل النبيﷺ بعد خروجه من الغار إلى قرية قباء[١] الاثنين في الثاني عشر من ربيع الأول، ونزل وصاحبه على كلثوم بن الهدم، وهو شيخ من بني عمرو، وقد خط رسول اللهﷺ مسجداً لقبيلته بني عمرو بن عوف، ونصب لهم قبلته[٢]، وكان أول مسجد بني في الإسلام، وقد عبّر عنه القرآن بأنه المسجد الذي أسس على التقوى.

﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىَ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ

(١) تقع قرية قباء على ميلين من المدينة على يسار القاصد إلى مكة، وكانت مساكن بني عمرو بن عوف.

(٢) تاريخ الخميس ١: ٣٣٣، بل نقل قوياً: أن المسجد بناه عمار قبل وصول الرسول ﷺ (موسوعة التاريخ الإسلامي: ج٣).

رِجَالٌ يُحِبّونَ أَن يَتَطَهّـرُواْ وَاللهُ يُحِـبّ الْمُطّهّـرِينَ﴾[١]، وقـد ورد فـي الأحاديث أن الصلاة فيه تعدل عمرة مفردة.

مكانة المسجد في الإسلام:

إن للمساجد مكانة عالية ومرموقة في الإسلام، وقـد جعلهـا الله تعالى بيوته في الأرض، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله أنـه قـال: «**مكتـوب فـي التوراة، أن بيوتي في الأرض المساجد، فطوبى لعبد تطهر في بيتـه ثـم زارني في بيتي، ألا إن على المزور كرامة الزائر، ألا بشّر المشائين فـي الظلمات إلى المساجد بالنور الساطع يوم القيامة**»[٢].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «**لا يرجع صاحب المسجد بأقل مـن إحدى ثلاث: إما دعاء يدعو به يدخله الله به الجنة، وإما دعـاء يـدعو به ليصرف الله به عنه بلاء الدنيا، وإما أخ يستفيده في الله عز وجل**»[٣].

وقد اعتبر الإسلام المساجد مراكز للمسلمين، فمنهـا يـستفيدون علوم دينهم، ويحيون نفوسهم، ويتأدبون بآداب نبيهم، فعن علي عليه السلام قال: «**من اختلف إلى المسجد أصاب إحدى ثمان: أخـاً مـستفاداً فـي الله، أو علماً مستظرفاً، أو آية محكمة، أو رحمة منتظرة، أو كلمة تـرده**

(١) التوبة: الآية ١٠٨.

(٢) بحار الأنوار ٨٣: ٣٧٣.

(٣) أمالي الطوسي: ٤٧ ح٥٧.

عن ردى، أو يسمع كلمة تدله على هدى، أو يترك ذنباً خشية أو حياء»[(١)].

الآداب المعنوية والسلوكية للمساجد:

قد جعل الإسلام لبيوت الله في الأرض آداباً قلبية وروحية وسلوكية، ينبغي على زائرها الالتفات إليها، وفيما يلي نشير إلى بعضها:

الأول: أن يتطهر زائرها في بيته ثم يأتيها، فعن النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أنه مكتوب في التوراة: «أن بيوتي في الأرض المساجد، فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي»[(٢)].

الثاني: صلاة ركعتين تحية المسجد، فقد ورد عن النبي الأكرم صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أنه قال: «**لا تجعلوا المساجد طرقاً حتى تصلّوا فيها ركعتين**»[(٣)].

الثالث: التطيّب والتنظّف لدخولها، قال تعالى: ﴿**خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُوَاْ إِنَّهُ لاَ يُحِبّ الْمُسْرِفِينَ**﴾[(٤)].

الرابع: أن لا يصلي جار المسجد إلا في المسجد، فعن علي بن

(١) أمالي الصدوق: ٣١/١ ح ١٦.
(٢) بحار الأنوار ٨٣: ٣٧٣ ح٣٧.
(٣) أمالي الصدوق: ٣٤٤ ح١.
(٤) الأعراف: الآية ٣١.

أبي طالبعليه السلام أنه قال: «**لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد، إلا أن يكون له عذر أو به علة**»، فقيل: ومن جار المسجد يا أمير المؤمنين؟ قال عليه السلام: «**من سمع النداء**»[١].

الخامس: إعمارها بالصلاة والذكر والدعاء، قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللهَ فَعَسَى أُوْلَـئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ**﴾[٢].

السادس: ترك ما لا ينفع من الأفعال والأقوال، والتحدث بحديث الدنيا والبيع والشراء ورفع الأصوات، فقد سأل أبو ذر رسول الله صلى الله عليه وآله عن كيفية عمارة المساجد، فقال صلى الله عليه وآله: «**لا ترفع فيها الأصوات، ولا يخاض فيها بالباطل، ولا يشترى فيها ولا يُباع، واترك اللغو ما دمت فيها، فإن لم تفعل فلا تلومنّ يوم القيامة إلا نفسك**»[٣].

وعنه صلى الله عليه وآله أنه قال: «**كل جلوس في المسجد لغو إلا ثلاثة: قراءة مصلّ، أو ذكر الله، أو سائل عن علم**»[٤].

---

(١) بحار الأنوار ٨٣: ٣٥٤ ح٧.

(٢) التوبة: الآية ١٨.

(٣) مكارم الأخلاق ٢: ٣٧٤ ح٢٦٦١.

(٤) بحار الأنوار ٧٧: ٨٦ ح٣.



دخول النبي ﷺ المدينة المنورة

(١٥ / ربيع الأول / السنة ١٣ للبعثة)

لقد خرج النبي ﷺ مهاجراً من مكة المكرمة في الأول من ربيع الأول السنة ١٣ للبعثة وقد وصل إلى منطقه قباء من ضواحي يثرب في ١٢ من ربيع الأول من تلك السنة وانتظر ابن عمه علي بن أبي طالب والذين معه من الفواطم والأصحاب ولم يدخل المدينة، إلى أن التحقوا به ﷺ في ١٥ من ربيع الأول ودخلوا معه إلى مدينة يثرب التي سميت بعد ذلك بمدنية الرسول ﷺ، واشتهرت بالمدينة المنورة إلى يومنا هذا.

وكان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ يوماً عظيماً مشهوداً، فكم ترى ستكون عظيمة فرحة الذين آمنوا برسول الله ﷺ منذ ثلاث سنين، وظلوا طوال هذه الأعوام يبعثون برسلهم ووكلائهم إليه،

ويذكرون اسمه المقدّس، ويصلّون عليه في صلواتهم كل يوم، إذا سمعوا أن قائدهم ذلك الذي طال انتظارهم له، واشتد تشوقهم إليه قد حان لقاؤهم به، وقدومه عليهم.

حطّ قدمه على تراب يثرب استقبله الناس رجالاً ونساءً، كباراً وصغاراً، استقبالاً عظيماً مهيباً، ورحّبوا به أعظم ترحيب. وكان في مقدمة المستقبلين أصحاب بيعة العقبة الثانية، وهم سبعون رجلاً وكذلك المهاجرون وفي مقدمتهم مصعب بن عمير.

وكانت بنو عمرو بن عوف قد اجتمعت عنده، وأصرّت عليه بأن ينزل في قباء، وقالوا له: أقم عندنا يا رسول الله، فإنا أهل الجد والجلد والحلقة (أي السلاح) والمنعة، ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يقبل.

وبلغ الأوس والخزرج خروج رسول الله صلى الله عليه وآله، وقرب نزوله المدينة قلبوا السلاح وأقبلوا يعدون حول ناقته لا يمرّ بحيّ من أحياء الأنصار إلاّ وثبوا في وجهه، وأخذوا بزمام ناقته، وأصروا عليه أن ينزل عليهم، ورسول الله صلى الله عليه وآله يقول: خلّوا سبيل الناقة فإنها مأمورة.

وأخيراً لما انتهت ناقته إلى أرض واسعة كانت ليتيمين من الخزرج يقال لهما: سهل وسهيل، وكانا في حجر أسعد بن زرارة، فبركت على باب أبي أيوب (خالد بن زيد الأنصاري) الذي كان على مقربة من تلك الأرض، فاغتنمت زوجة أبي أيوب الفرصة فبادرت

إلى رحل رسول الله صلى الله عليه وآله فحلّته وأدخلته منزلها، بينما اجتمع عليه الناس يسألونه أن ينزل عليهم، فلما أكثروا عليه، وتنازعوا في أخذه، قال صلى الله عليه وآله: «**أين الرحل؟**» فقالوا: أم أيوب قد أدخلته في بيتها[1]، فقال صلى الله عليه وآله: «**المرء مع رحله**»، وكان أبو أيوب أفقر أهل المدينة، وبقي النبي صلى الله عليه وآله عنده حتى بُني مسجده.

(١) سيد المرسلين ١: ٦١٩ – ٦٢١.



النبي ﷺ وبناء المسجد في المدينة

١٨ / ربيع الأول/ السنة الأولى للهجرة

بعد وصول النبي ﷺ بأيام إلى المدينة ابتاع الأرض التي بركت فيها ناقته يوم قدومه إلى المدينة، والتي كانت ليتيمين هما (سهل وسهيل) من الخزرج، وكانا عند أسعد بن زرارة، وقد اشتراها بعشرة دنانير، وذلك لإقامة مسجده فيها[١].

وقد اشترك كافة المسلمين في تهيئة مواده وبنائه، كما أن رسول الله ﷺ عمل بنفسه في تشييده فكان ينقل معهم اللبن والحجارة، وبينما هو ﷺ ذات مرة ينقل حجراً على بطنه استقبله (أسيد بن حضير) فقال: يا رسول الله، أعطني أحمله عنك، فقال ﷺ: لا، اذهب

(١) سيد المرسلين ٢: ١٢.

فاحمل غيره[١].

وبهذا الأسلوب العملي كشف رسول الله ﷺ عن جانب من خلقه وسلوكه القويم، إذ بيّن بعمله أنه رجل عمل، وليس رجل قول، وكان لهذا أثره الفعال في نفوس أتباعه، حتى أنشد بعضهم:

لئن قعدنا والنبي يعمل   فذاك منا العمل المضلل[٢]

وفعلاً بنى المسلمون مسجدهم وبنى المهاجرون منازلهم حول المسجد، وفتح كل واحد منهم بابه على المسجد شراعاً، فكانوا يخرجون من منازلهم فيدخلون المسجد من تلك الأبواب، ولكن فيما بعد أمر الله نبيه أن يأمر المسلمين بسد أبوابهم المشرعة على المسجد عدا بابه ﷺ وباب علي عليه السلام.

فضل ومستحبات مسجد النبي ﷺ

إن مسجد النبي ﷺ في المدينة المنورة الذي بني على يد النبي ﷺ وأصحابه الكرام يُعد ثانى المساجد في الفضل بعد مسجد الحرام في مكة المكرمة، وقد ورد في الحديث الشريف: «**وصلاة في مسجدي تعدل (عشرة آلاف) صلاة فيما سواه من المساجد إلا**

---

(١) بحار الأنوار ١٩: ١١٢.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ١: ٤٩٦.

المسجد الحرام»[١]، ولهذا المسجد مستحبات وآداب نذكرها باختصار:

١- الغسل لدخول المسجد وزيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وآله.

٢- الاستئذان بالدخول والأفضل أن يكون من باب جبرائيل.

٣- الصلوات على النبي صلى الله عليه وآله عند الدخول وعند الخروج من المسجد وقراءة ذكر **(الله أكبر)** مائة مرة.

٤- صلاة ركعتين تحية المسجد النبوي الشريف.

٥- زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وزيارة بضعته الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام التي يحتمل أن تكون مدفونة في بيتها أو في الروضة الشريفة بين قبر أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله ومنبره، ثم صلاة الزيارة.

٦- الصلاة في الروضة الشريفة الواقعة بين قبر النبي صلى الله عليه وآله ومنبره وقد جاء في الحديث النبوي الشريف «**ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة**»[٢]، والصلاة عند اسطوانة التوبة والصلاة في مقام جبرئيل وإقامة الصلاة اليومية فيه ما أمكن.

٧- الإكثار من تلاوة القرآن الكريم في المسجد النبوي الشريف.

---

(١) وسائل الشيعة ٥٧: ٢٨٠.

(٢) من لا يحضره الفقيه ٢: ٥٧٣.



النبي ﷺ والمؤاخاة

(١٢/ رمضان/ السنة ١ هـ)

اليوم الثاني عشر من شهر رمضان المبارك، من السنة الأولى للهجرة، آخى النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار وآخى بينه وبين علي بن أبي طالب عليه السلام.

عن محدوج ابن زيد: إن رسول الله ﷺ آخى بين المسلمين، ثم قال: **يا علي، أنت أخي، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى، غير أنه لا نبي بعدي**(١).

---

(١) فضائل الصحابة لابن حنبل ٢: ٦٦٣ ح١١٣١، وتاريخ دمشق ٤٢: ٥٣ ح٨٣٨٩، والمناقب للخوارزمي ١٤٠ ح١٥٩، والمناقب لابن المغازلي ٤٢: ٦٥ عن أبي زيد الباهلي؛ والأمالي للصدوق ٤٠٢: ٥٢٠، والمناقب لابن شهر آشوب ٢: ١٨٦ نحوه وكلاهما عن مخدوج بن زيد الذهلي.

كان النبي ﷺ ومعه ٧٤٠ شخصاً من المسلمين في منطقة النخيلة، فنزل عليه جبرائيل عليه السلام وقال: لقد عقد رب العزة تبارك وتعالى عقد الأخوة بين الملائكة فأنت يا رسول الله، اجعل بين أصحابك عقد الأخوة الإيمانية. فكل شخص توجه إلى الشخص الآخر الذي كان يميل إليه ويحبه أكثر، فتآخى أبو بكر مع عمر، عثمان مع عبد الرحمن، وسلمان مع أبي ذر، وطلحة مع الزبير، ومصعب مع أبي أيوب الأنصاري، وحمزة مع زيد بن حارثة، وأبو الدرداء مع بلال، وجعفر الطيار مع معاذ بن جبل، والمقداد مع عمار، وعايشة مع حفصة، وأم سلمة مع صفية، والنبي الأكرم ﷺ مع أمير المؤمنين علي عليه السلام[1].

وعن الإمام علي عليه السلام: **آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه، فقلت: يا رسول الله، آخيت بين أصحابك وتركتني فرداً لا أخ لي!! فقال: إنما اخترتك لنفسي؛ أنت أخي في الدنيا والآخرة، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى. فقمت وأنا أبكي من الجذل[2] والسرور[1].**

---

(١) بحار الأنوار ٣٨: ٣٣٥.

(٢) جذل – بالكسر – بالشيء يجذل جذلاً فهو جذل وجذلان: فرح (لسان العرب ١١: ١٠٧).

أبعاد ونتائج التآخي بين المسلمين

لهذه القضية أبعاد اقتصادية واجتماعية وسياسية يمكن أن نلخصها كالتالي:

١- إعالة المهجرين وإعادة تأهيلهم اقتصادياً للعودة لممارسة حياتهم الطبيعية، وإزالة الفوارق الطبقية في محاولة للقضاء على الفقر.

٢- القضاء على الأمراض الاجتماعية المتأصلة في المجتمع ومخلفات التناحر القبلي وإشاعة روح الحب والود والتآلف.

٣- تكوين نسيج مترابط من المسلمين يتحرك مستجيباً لأوامر الرسول والرسالة لتصبح أمة واحدة تشعر بالقوة في الدفاع عن نفسها.

نظرية الإسلام في التآخي

قد جاءت الأديان السماوية لتؤكد على نداء الفطرة الألهية والتآلف والتحابب بين أفراد الإنسان وتربط بين خلايا المجتمع، وتوطّد الروابط والعلاقات بين أبناء البشر، وقد جعلت له ركائز وأسس وقواعد، لكي يبني هذا الارتباط على أساسها فتنتج وتؤثر في

(١) كنز الفوائد ٢: ١٨٠ عن سليمان بن جعفر الهاشمي، عن الإمام الصادق، عن أبيه، عن جده عليهم السلام، المعجم الكبير ١١: ٦٣ ح١١٠٩٢ عن ابن عباس نحوه. راجع: أحاديث الوراثة/ وارث علم النبي.

حياة الأفراد النتاج الصحيح.

لقد حثّ الإسلام كثيراً على أنه ينبغي للمؤمن أن يتخذ الأخ والصديق، ويسعى جاهداً لتكثير الأصدقاء، وأن سعادة المؤمن الظفر بأكثر عدد ممكن منهم، فعن الصادق عليه السلام: «**من لم يرغب في الاستكثار من الاخوان ابتلي بالخسران**»(١). وعن الإمام علي عليه السلام: «**أعجز الناس من عجز عن اكتساب الإخوان، وأعجز منه من ضيّع من ظفر به منهم**»(٢).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «**إنّما سمّوا إخواناً لنزاهتهم عن الخيانة، وسمّوا أصدقاء لأنّهم تصادقوا على حقوق المودة**»(٣).

فالصداقة منزلة أعمق من الأخوة، إذ جميع المؤمنين، ولأجل إيمانهم إخوة من تعارف منهم ومن لم يتعارف، القريب منهم والبعيد، ولكن الصداقة هي مع خصوص بعض المؤمنين ممن يسرّ إليهم وممن يتعارفون ويتوادون ويتصاحبون على مصائب الدهر الخؤون.

صفات الصديق: لا يكون الشخص أخاً لشخص حتى تتحقق

---

(١) تحف العقول: ٣١٩.

(٢) بحار الأنوار ٧٤: ٢٧٨ ح١٢.

(٣) تحف العقول: ٣٧٥.

فيه جملة من الأوصاف، ولهذا الأمر أهمية خاصة في الإسلام، لأن الإسلام نهى عن مصادقة من تدخل صداقته في الباطل، وتوصل بالمرء إلى الضلال والضياع، ولهذا فينبغي على المؤمن أن لا يتخذ صديقاً حتى يجد فيه صفات الصديق التي بيّنها الإسلام، ومنها:

أ- أن يكون عاقلاً: فعن الإمام علي عليه السلام: «**صاحب العاقل، وجالس العلماء، وأغلب الهوى ترافق الملأ الأعلى**»[1].

ب- أن يكون مؤمناً: ومما ينبغي أن يتوفّر في الصديق الإيمان والتقوى والعمل الصالح، فإنّ هذه الأوصاف من شأنها أن تنعكس على صديقه بكثرة المخالطة والمجالسة، فإنّ من طبع الإنسان إذا أنس بشخص أنس بأفعاله وسيرته وأخلاقه وسجاياه، ومن هنا أكّدت الروايات على هذه الخصوصية.

وفي قبال ذلك نجد الروايات تؤكّد على ترك صحبة الفساق وأهل الذنوب والمعاصي، فإن هذا السلوك فيهم قد يحفز من يصادقهم إلى الفسق والعصيان وخلع زيّ العبودية لله.

ج- أن يكون ذا خلق حسن: كما ينبغي أن يكون الصديق مؤمناً تقياً، وينفع للآخرة، فلابد وأن يتحلى بخلق رفيع، وسجية

---

(١) غرار الحكم: ٥٨٣٧.

كريمة، ونفس طرية، وروح هنيئة، فإنّ صاحب الخلق الحسن تميل النفس إليه ويطمئن إليه العقل، وترتاح إليه النفس، مع ما له من سمعة طيبة في المجتمع تنعكس على سمعة من يصاحبه، وما أحوج المجتمع، وخصوصاً الشباب إلى الأصدقاء الخلوقين لتنتشر الأخلاق الحسنة بين جميع طاقم الحياة البشرية، وقد ورد الكثير من الأخبار والأحاديث التي تؤكد على خلق الصديق وحسنه.

حقوق الإخوان:

ورد عن النبي الأكرمﷺ للمسلم على أخيه المسلم ثلاثون حقاً، لا بد له من أدائها منها:

أن يعفو عنه، يكتم سره، يستر زلّته، أن يقبل عذره، أن يدافع عنه، أن يحب له الخير والصلاح، أن يفي بوعده، يعوده إذا مرض، يشيّع جنازته، يقبل دعوته وهديته، أن يرد هديته بالأفضل، أن يشكر سعيه له، السعي في إيصال الخير له، يحفظ عرضه، أن يقضي حاجته، أن يحلّ مشاكله، أن يبحث عن ضالته، أن يدعو له عند عطاسه، أن يجيب سلامه، أن يحترم كلامه، أن يختار له أفضل هدية، أن يقبل قَسَمَهُ، أن يحب صديقه ولا يعاديه، لا يتركه عند المصائب،

أن يحب له ما يحب لنفسه...[١].

أفضل الإخوان:

أفضل الأخوان من كان مخلصاً وطالباً للخير لك، ولو كان شديداً في دعوته لك إلى طاعة الله سبحانه وتعالى ويكون لك عوناً في الشدائد، وأن يكون حبه لك لوجه الله (عز وجل)، والذي يزيدك في العلم مَنطِقُهُ ويقربك إلى الله عمله، وأن يغضّ طرفه عن أخطائك وعيوبك، وأن يحفظك من الوقوع في شراك الأهواء والرغبات الشيطانية، وإن رأى منك عيباً ذَكَّركَ، وأن يكون مواظباً على الصلوات الخمس، وأن يكون من أهل الحياء والأمانة والصدق، وأن لا ينساك في الضيق والرخاء[٢].

آثار الصداقة في الدنيا والآخرة:

لا شكّ في أنّ كل عمل يقوم به الإنسان له آثار تنعكس وتظهر في حياته الفردية والاجتماعية، فالصدق والتعقل والتدين إذا قام بها الإنسان تظهر آثارها الخيّرة والحسنة على حياته، والكذب والحمق والفسوق كذلك تظهر آثارها السيئة والوخيمة على حياة الإنسان إذا ما

---

(١) المصدر السابق ٧٤: ٢٣٦.

(٢) ميزان الحكمة ٢: ١٥٩١ نقلاً عن بحار الانوار ٧٤: ٧- ٨.

قام بها، والصداقة هي واحد من تلك العناوين التي تظهر آثارها على حياة الفرد والمجتمع سلباً وإيجاباً في الدنيا وفي الآخرة، وفيما يلي نذكر بعض الآثار المترتبة على صداقة المؤمنين بعضهم من بعض في عالم الآخرة: وهو كون الصديق يشفع لصديقه، وهذا الحق من أهم حقوق عوالم الآخرة حيث أعطى الله تعالى هذا الحق لبعض البشر ليشفع في عباده، فأعطاها للأنبياء والأئمة عليهم السلام وللشهداء وللمؤمنين، وأيضاً أعطي الصديق والخليل، ومن هنا فإن أهل النار يندمون أنه ليس لهم صديق حميم يشفع لهم، حيث قالوا كما أخبر عنهم الله تعالى بقوله: ﴿**فَما لَنا مِنْ شافِعِينَ وَلا صَدِيقٍ حَمِيمٍ**﴾[1].

ومن أعظم مصاديق الصداقة، أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته لاسيما أصحاب الإمام الحسين الذين وقفوا معه في عرصات كربلاء، حيث يروى أن زينب عليها السلام خشيت خذلان الأصحاب عند ساعة العسرة، فقالت لأخيها الحسين عليه السلام: هل اختبرت أصحابك؟ فقال عليه السلام: «**لقد اختبرتهم فما وجدتُ فيهم إلاّ الأشوس الأقعس يستأنسون في المنية دوني**»[2]، وحقّاً سطّروا بدمائهم وقرابين نفوسهم أروع وأعظم روابط الحب والصداقة والولاء لإمامهم الحسين عليه السلام.

---

(١) الشعراء: الآيتين ١٠٠-١٠١.

(٢) مقتل الحسين للمقرم.



تحويل قبلة المسلمين

١٥/ رجب / السنة ٢ هـ

فقد ذكر المؤرخون والمفسرون، في سبب تحويل القبلة أن النبي صلى الله عليه وآله حين قدم المدينة كان يتوجه إلى بيت المقدس[١]، حين عبادته ما كان يفعل ذلك طوال وجوده في مكة فصار اليهود يعيّرونه، ويقولون: أنت تابع لنا، تصلي إلى قبلتنا، أو كانوا يقولون: تخالفنا يا محمد في ديننا وتتبع قبلتنا[٢].

---

(١) إذن بيت المقدس أو مسجد الأقصى هو القبلة الأولى للمسلمين ولازال يحظى بقداسة عندهم وهو ثالث المساجد الذي يستحب شد الرحال إليه وهو اليوم تحت احتلال واغتصاب الصهاينة المجرمين القادمين من أنحاء العالم ونسأل الله أن يأتي ذلك اليوم الذي يتحرر من أيدي الغاصبين ليستطيع المسلمون أن يزوروه ويتعبدوا فيه.

(٢) مجمع البيان ١: ٢٥٥.

فشق هذا الكلام على رسول الله ﷺ واغتم من ذلك غماً شديداً، وكان قد وعده الله تعالى سابقاً بتحويل القبلة، فخرج في جوف الليل يقلّب وجهه في السماء، ينتظر أمر الله تعالى في ذلك، وأن يكرمه بقبلة تختص به، فلما أصبح وحضرت صلاة الظهر - وقيل العصر - وكان في مسجد بني سالم[١]، صلى النبي بأصحابه ركعتين، فنزل جبرئيل، فأخذ بعضديه فحوله إلى الكعبة، فاستدارت الصفوف خلفه، فأنزل الله عليه:

﴿قَدْ نَرى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّماءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضاها فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَحَيْثُ ما كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾[٢].

فصلى ركعتين إلى الكعبة، فقالت اليهود - الذين شقّ عليهم ذلك - والسفهاء ما ولاّهم عن قبلتهم التي كانوا عليها[٣] وإلى هذا أشار قوله تعالى: **﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلاّ لِنَعْلَمَ مَن يَتّبِعُ الرّسُولَ مِمّن يَنقَلِبُ عَلَىَ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاّ عَلَى الّذِينَ هَدَى**

---

(١) وقد اشتهر هذا المسجد اليوم بمسجد ذي القبلتين وهو من المساجد العامرة التي يقصدها الزوار.

(٢) البقرة: الآية ١٤٤.

(٣) بحار الأنوار ١٩: ١١٤، و١٩٥، و٢٠٢، وإعلام الورى: ٧١، وتفسير القمي ١: ٦٣.

اللهُ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنّ اللهَ بِالنّاسِ لَرَءُوفٌ رّحِيمٌ﴾[١].

وقد سئل الإمام العسكري عليه السلام عن سبب تحويل القبلة فأجاب: إن هوى أهل مكة كان في الكعبة، فأراد الله أن يبين متبع محمد من مخالفه باتباع القبلة التي كرهها ومحمد يأمر بها، ولما كان هوى أهل المدينة في بيت المقدس، أمرهم بمخالفتها والتوجه إلى الكعبة، ليبين من يتبع محمداً فيما يكرهه، فهو مصدقه وموافقه..[٢].

ولا يخفى أنّ ما ذكر في هذه الرواية ليس هو السبب الأول والأخير لتحويل القبلة، بل لا يعدو أن يكون بعضاً من حِكَم تحويل القبلة وفوائده ويمكن الإشارة إلى بعض هذه الحكم مضافاً إلى ما ذكرناه:

أولاً: أن الكعبة التي رفعت قواعدها على يدي بطل التوحيد وناشر لوائه النبي العظيم (إبراهيم الخليل عليه السلام) كانت موضع احترام وتقديس من المجتمع العربي، فقد كان العرب يحبون الكعبة ويعظمونها غاية التعظيم على ما هم عليه من الشرك والفساد، فكان اتخاذه قبلة من شأنه كسب رضا العرب، واستمالة قلوبهم، وترغيبهم في الإسلام تمهيداً لاعتناق دين التوحيد ونبذ الأوثان والأصنام.

---

(١) البقرة: الآية ١٤٣.

(٢) بحار الأنوار ١٩: ١٩٧، وتفسير الميزان ١: ٣٣٣.

ثانياً: أن الابتعاد عن اليهود الذين لم يكن يؤمل في إذعانهم للإسلام، وإيمانهم برسالة (محمّد) ذلك اليوم كان يبدو أمراً ضرورياً، لأنهم كانوا يقومون بأعمال إيذائية ضد الإسلام والمسلمين ويطلعون على رسول الله ﷺ بين الفينة والأخرى بأسئلة عويصة يشغلونه بها، يظهرون بها حسب تصورهم - أنهم يعرفون أموراً كثيرة وأنهم علماء، وبذلك يضيعون على رسول الله ﷺ الوقت، ويشغلونه عن مهامه الكبرى.

فكان تغيير القبلة واحداً من مظاهر الابتعاد عن اليهود واجتنابهم، تماماً مثل نسخ صوم يم عاشرواء الذي تم لنفس هذا الغرض.

فقد كانت اليهود تصوم يوم عاشوراء قبل الإسلام، فأمر النبي ﷺ المسلمون بأن يصوموا هذا اليوم أيضاً، ثم نسخ الأمر بصوم عاشوراء وفرض مكانه صوم شهر رمضان[1].

كرامة علمية لرسول الله ﷺ:

وما ينبغي الإشارة إليه هنا هو: أن العرض الجغرافي للمدينة - طبقاً لمحاسبات علماء الفلك القدامى - هو ٢٥ درجة، وطولها ٧٥ درجة و٢٠ دقيقة، ولهذا كانت قبلة المدينة لا توافق محراب رسول

---

(١) مجمع البيان ١: ٢٧٣.

الله ﷺ الباقي على حالته السابقة إلى الآن في مسجده الشريف، وقد سبب هذا الاختلاف حيرةً لدى بعض المتخصصين في هذا العلم، وربما دفعهم إلى ارتكاب توجيهات وتبريرات لرفع هذا الاختلاف.

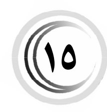
ولكن القائد المعروف بسردار الكابلي أثبت في الآونة الأخيرة - طبقاً للمقاييس المعروفة اليوم - أن خط المدينة الجغرافي على عرض ٢٤ درجة و٥٧ دقيقة وطول ٣٩ درجة و٥٩ دقيقة[١].

وتكون نتيجة هذه المحاسبة هي أن قبة المدينة تكون في نقطة الجنوب تماماً وتنحرف عن نقطة الجنوب بـ ٤٥ دقيقة فقط.

وهذا الاستخراج الفكلي للقبلة ينطبق على محراب رسول الله ﷺ أفضل تطبيق، ويُعد هذا من كرامات النبي الأكرم ﷺ حيث توجه في حالة الصلاة من بيت المقدس إلى الكعبة بصورة دقيقة ومن دون أي انحراف ولا جزئي معتفر وذلك من دون أية محاسبة فلكية، وعلمية.

---

(١) تحفة الأجلة في معرفة القبلة: ٧١.



غزوة بدر الكبرى

١٧ / رمضان / السنة ٢ هـ

في شهر رمضان المبارك، في السنة الثانية من الهجرة كانت واقعة بدر الكبرى، وكان النبي صلى الله عليه وآله قد أرسل قبلها بعدة سرايا، إلاّ أنه لم يقع فيها قتال، وكان سببها أن النبي صلى الله عليه وآله قد أطلعه الغيب على خروج قافلة تجارية لقريش بقيادة أبي سفيان، فيها أموال كثيرة، قُدّرت بخمسين ألف دينار، فخرج النبي صلى الله عليه وآله ومن معه لأخذها عوض أموالهم التي سلبت في مكة، غير أنّ هذه القافلة سرعان ما أفلتت منهم إلى الشام، فأخذ النبي صلى الله عليه وآله يترقب رجوعها حتى إذ أعلم به انتدب الناس للخروج إليها وسلبها، فخرج المسلمون يريدون العير، وقد علم أبو سفيان بالأمر فأرسل رجلاً إلى قريش يستنفرهم لنجاة

العير[١]، فوصل بعد ثلاثة أيام وهو يناديهم: يا آل غالب... يا آل غالب.. اللطيمة اللطيمة[٢]. فلما أخبرهم الخبر تجهّزت قريش لحرب النبي ﷺ وما بقي أحد من عظمائها إلاّ أخرج ماله لتجهيز الجيش، فخرجت قريش بألف فارس ويزيدون، وأخرجوا معهم المغنيات والدفوف والطبول والخمر[٣]، فلما وصل خبرهم إلى النبي ﷺ استشار أصحابه بأمر حربهم، وكان قد قرب بدر، فقام المقداد، فقال يا رسول الله: إنها قريش وخيلاؤها، وقد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به حق من عند الله، والله لو أمرتنا أن نخوض جمر الغضا وشوك الهراس لخضناه معك، ولا نقول لك ما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا، إنا ها هنا قاعدون، ولكنا نقول: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون، والله لنقاتلنّ عن يمينك وشمالك، ومن بين يديك، ولو خضت بحراً لخضناه معك، ولو ذهبت بنا برك الغماد لتبعناك.

فأشرق وجه النبي ﷺ ودعا له وسرّ لذلك وضحك.

ثم أمر أصحابه بالمسير وأخبرهم بأنّ الله تعالى قد وعده إحدى

---

(١) الكامل في التاريخ ٢: ١١٦.

(٢) السيرة الحلبية ٢: ١٤٣- ١٤٤.

(٣) المصادر السابقة.

الطائفتين، النفير أو العير، وفي ذلك قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّها لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِماتِهِ وَيَقْطَعَ دابِرَ الْكافِرِينَ**﴾[1] وأن الله لن يخلف وعده.

فساروا حتى نزلوا بدراً، ولما أصبح يوم الواقعة ورأى المسلمون كثرة المشركين، خافوا وتضرّعوا إلى الله، ولمّا نظر النبي صلى الله عليه وآله إلى كثرة المشركين، وقلّة المسلمين استقبل القبلة، وقال: **اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض**[2]. فنزل قوله تعالى: ﴿**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ * وَما جَعَلَهُ اللهُ إِلاَّ بُشْرى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ**﴾[3].

ثم ألقى الله النعاس على المسلمين فناموا ليهدّئ من روعهم وخوفهم، وليتمكنوا في الصباح من مواجهة المشركين بقوة وثبات، وحتى لا تتضخّم الأمور في الليلة البهيم فيأخذهم الاضطراب ويعصف بهم التخمين ويتملكهم الخوف. قال تعالى: ﴿**إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّماءِ ماءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ**

---

(١) آل عمران: الآية ١٢٣.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٢: ٢٢١- ٢٧٢.

(٣) الأنفال: الآية ٩- ١٠.

عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطانِ وَلِيَرْبِطَ عَلى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدامَ﴾[١].

وفي مقابل ذلك فقد ألقى الله سبحانه في قلوب المشركين الرعب والخوف، قال تعالى: **﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْناقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنانٍ﴾**[٢].

المعركة ونتائجها:

كان أول من برز للقتال عتبة وأخوه شيبة وابنه الوليد، فبرز إليهم ثلاثة من الأنصار، فنادى عتبة أو شيبة: يا محمد أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا. فندب إليهم عبيدة بن الحارث وحمزة وعلياً قائلاً: «**قم يا عبيدة، قم يا عم، قم يا علي، فاطلبوا بحقكم الذي جعله الله لكم...**»[٣].

وبدأت المعركة بعد المبارزة الفردية، فأخذ النبي صلى الله عليه وآله كفاً من الحصباء فرماها في وجوه المشركين فما بقي فرد منهم إلاّ امتلأت عينه منه، ثم أخذ المسلمون يقتلون ويأسرون، وقد قُتل زعماؤهم وقُتل أبو جهل وأمية وأضرابهما...

واستشهد من المسلمين تسعة، وقيل: أحد عشر. وقيل: أربعة

(١) الأنفال: الآية ١١.

(٢) الأنفال: الآية ١٢.

(٣) المناقب لابن شهر آشوب ٣: ١١٩.

عشر؛ ستة من المهاجرين، وثمانية من الأنصار، كما أنه لم يؤسر من المسلمين أحد، كما أنهم قد غنموا من المشركين مئة وخمسين بعيراً، وعشرة أفراس، وقيل ثلاثين، ومتاعاً وسلاحاً وأنطاعاً وثياباً وأدماً كثيراً[(١)].

وكان لعلي عليه السلام الدور الأساس في هذه المعركة، حيث كان نصف القتلى تقريباً بسيفه، وقد ذكر الواقدي أسماء تسعة وأربعين رجلاً ممن قتل في بدر من المشركين، ونصّ على أنّ من قتله منهم أمير المؤمنين علي عليه السلام وشرك في قتله اثنان وعشرون رجلاً[(٢)].

وأخيراً انتصر النبي والمسلمون في غزوة بدر الكبرى وأشار القرآن إلى هذا الانتصار بقوله: ﴿**لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُواْ اللهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾[(٣)].

دروس وعبر من غزوة بدر:

لقد حملت واقعة بدر الكثير من الدروس والعبر للمسلمين جميعاً على مرّ التاريخ، فكل من يقرأ صفحات بدر، وما بذله المسلمون، في سبيل الله تعالى، والقيادة الحكيمة للنبي صلى الله عليه وآله يستحصل

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير ٢: ١١٨.

(٢) مغازي الواقدي ١: ١٥٢، وأنساب الأشراف ١: ٢٩٦.

(٣) آل عمران: الآية ١٢٣.

حصيلة كبيرة من الفوائد والدروس، ومن أهم تلك الدروس الحصول على نتائج الاعتماد على الله تعالى والتمسك بالقيادة الإلهية الحكيمة للنبي صلى الله عليه وآله حيث كان من الواضح جداً أن المسلمين يشكلون في عددهم وعتادهم من الناحية العسكرية الجانب الضعيف في هذه المعركة، غير أنّ المسلمين وبسبب الاعتماد المطلق على الله ورسوله صلى الله عليه وآله، والعزم على إعلاء كلمة التوحيد، صغر كل ذلك في عيونهم، فكان النصر حليفهم.

بين بدر وكربلاء:

لا شكّ في أنّ معركة كربلاء استمرار واضح لمعركة بدر بنظر الحسين عليه السلام وبنظر يزيد، فأراد يزيد من هذه المعركة أن ينتقم من النبي والإسلام، ويثأر لأجداده من بني أمية، ولذا فبعد قتل الحسين عليه السلام اعتبر نفسه منتصراً فقال:

ليت أشياخي ببدر شهدوا　　جزع الخزرج من وقع الأسل

لأهلوا واستهلوا فرحاً　　ثم قالوا: يا يزيد لا تشل

قد قتلنا القوم من ساداتهم　　وعدلناه ببدر فاعتدل

كما أنّ معركة كربلاء كانت بنظر الحسين عليه السلام كذلك، أي استمراراً لمعركة بدر، ولكن باتجاه آخر، فإذا كان منظار يزيد الانتقام والأخذ بالثأر، فكان منظار الحسين عليه السلام الوقوف بوجه الظلم والفساد

والانحراف الذي بعث جده المصطفى لمحوه واستئصال شوكته، ومن هنا كان الحسين عليه السلام استمراراً لرسول الله، وهذا معنى قول النبي صلى الله عليه وآله: «**حسين مني وأنا من حسين**» حيث أحيى الحسين عليه السلام بثورته وشهادته دين جده رسول الله.

فلئن حارب النبي صلى الله عليه وآله قريشاً في بدر لأجل كسر فرعنة صناديدها، فقد قاتل الحسين في كربلاء لكسر كبرياء آل أمية وفرعنتهم وتسلطهم على رقاب المسلمين، ولئن حارب النبي صلى الله عليه وآله قريشاً في بدر لقمع الجاهلية الموروثة فقد حارب الحسين في كربلاء ليقمع الجاهلية الموروثة ما بعد الإسلام، وهكذا قدّم الحسين كل ما يملك، وكل غالٍ ونفيس في سبيل هذا المبدأ العظيم، حتى توّج تضحياته بتقديم نفسه، الّتي بقيت حية على الدهور تحيي الإسلام في النفوس بمنهج رباني رصين وحصين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.



النبي ﷺ وزواج فاطمة عليها السلام

١/ ذي الحجة / السنة الثانية للهجرة

إن السيدة فاطمة الزهراء قد أكملت التاسعة من عمرها وقد تقدم إلى رسول الله ﷺ الكثير من الصحابة يطلبون يدها، إلا أن الرسول ﷺ امتنع عن ذلك وصرح بأنه ينتظر فيها قضاء الله[١]، إلى أن تقدم علي ابن أبي طالب عليه السلام، لخطبتها من رسول الله ﷺ، فقال له: «**يا علي قد ذكرها قبلك رجال، فذكرت ذلك لها، فرأيت الكراهة في وجهها، ولكن على رسلك حتى أخرج إليك**»، فلما دخل النبي ﷺ على فاطمة، وأخبرها بالأمر الذي جاء لأجله علي عليه السلام، سكتت ولم تولّ وجهها، ولم يرَ فيه الكراهية التي كان يراها في عرض غيره عليها، فقام وهو يقول: «**الله أكبر، سكوتها إقرارها**»،

---

(١) أنساب الأشراف ٢: ٣٠.

فخرج إلى علي وموافقة الزهراء بادية على قسائم وجهه، تحكيها ابتسامته المباركة[١]، فقال ﷺ: **يا علي هل معك ما أزوّجك به؟** فقال عليه السلام: **فداك أبي وأمي، والله لا يخفى عليك من أمري شيء، أملك سيفي ودرعي وناضحتي**. فقال ﷺ: **يا علي، أما سيفك فلا غنى بك عنه، تجاهد به في سبيل الله، وتقاتل به أعداء الله، وناضحتك تنضح به على نخلك وأهلك، وتحمل عليه رحلك في سفرك، ولكني قد زوّجتك بالدرع، ورضيت بها منك، بع الدرع، وائتني بثمنه**[٢].

باع الإمام علي عليه السلام الدرع[٣] بأربعمئة وثمانين درهماً، وقيل بخمسمئة[٤]، وجاء بالدراهم وطرحها يبن يدي النبي ﷺ، فكان هذا فقط صداق أشرف وأعظم فتاة عرفتها دنيا الإنسان.

ثم إنّ النبي ﷺ قسّم المبلغ أثلاثاً، ثلثاً لشراء الجهاز، وثلثاً لشراء الطيب، وثلثاً تركه عند أم سلمة أمانة، ثم ردّه بعد ذلك إلى علي عليه السلام قُبيل الزفاف، إعانةً منه لوليمة الزفاف.

دفع النبي ﷺ الثلث لأبي بكر وسلمان وبلال ليشتروا

---

(١) وقد اشتهر عن النبي ﷺ، قوله: «لولا علي ما كان لفاطمة كفؤ».

(٢) الإصابة للعسقلاني ٤: ٣٦٥.

(٣) كانت تسمى هذه الدرع بـ (الحطيمة) لأنها كانت تحطم السيوف.

(٤) بحار الأنوار ٤٣: ١٤٤.

لفاطمة عليها السلام متاع بيتها، فكان ما اشتروه متواضعاً غاية التواضع، بحيث لما طرح بين يدي النبي صلى الله عليه وآله أخذ يقلّبها بيده، ثم رفع رأسه إلى السماء، وقال: «**اللهم بارك لقوم جُلُّ آنيتهم الخزف**»[1].

ومن السنن النبوية الوليمة عند الزواج، وقد روي عن ابن عباس: إن النبي صلى الله عليه وآله دعا بلالاً فقال: **يا بلال، إني قد زوجت ابنتي ابن عمي، وأنا أحب أن يكون من سُنّة أمتي إطعام الطعام عند النكاح، فائت الغنم فخذ شاة وأربعة أمداد أو خمسة، فاجعل لي قصعة لعلّي أجمع عليها المهاجرين والأنصار، فإذا فرغت منها فآتني بها.**

فانطلق ففعل ما أمره، ثم أتاه بقصعة، فوضعها بين يديه، فطعن رسول الله صلى الله عليه وآله في رأسها، ثم قال: **أدخل عليّ الناس زفة زفة، ولا تغادرن زفة إلى غيرها**[2]. فجعل الناس يردون كلما فرغت زفة وردت أخرى حتى فرغ الناس.

ومن خلال هذه النظرة السريعة لهذا الحدث الكبير في تاريخ الإسلام يمكن استقراء جملة من الدروس التربوية العظيمة التي جعلها النبي صلى الله عليه وآله معالم للأجيال، يمكن الإشارة إلى أهمها وهي:

أولاً: اختيار علي عليه السلام لفاطمة عليها السلام – وإن كان من قبل السماء

---

(١) بحار الأنوار ٤٣: ١٣٠ حديث ٣٢.

(٢) إذا فرغت زفة لم تعد ثانية.

بقوله ﷺ: «**إن الله أمرني بأن أزوِّج فاطمة من علي**»[١]- لكنه كان وفق ضوابط الإيمان وأهلية كل طرف للطرف الآخر ويدلل ذلك بوضوح على أهمية هذه الضوابط واعتبارها هي الأساس الذي يجب أن تبنى عليه أركان الأسرة المسلمة وكيانها.

ولعلّ في الكلام الذي روي عن النبي ﷺ: **يا فاطمة، أما إني ما آليت أن أنكحتك خير أهلي**[٢] إشارة إلى لزوم انتخاب الأصلح.

ثانياً: السنن والدروس النبوية التي طبعت في معالم تشكيل هذه الأسرة المباركة من قلة المهر وإطعام الطعام وإقامة الفرح والسرور وتوصية الطرفين أحدهما بالآخر والبساطة في تجهيز أثاث البيت ومتطلباته.

عاش علي وفاطمة عليهما السلام على أحسن حال، فلم يشتك علي من فاطمة طيلة حياته معها، وكذلك فاطمة، بل كان كل منهما نِعم العون على طاعة الله للآخر، وهناك كثير من النصوص تؤكّد هذه الحقيقة، فقد قال علي عليه السلام في بيان العلاقة بينهما: «**فوالله ما أغضبتها ولا أكرهتها على أمر حتى قبضها الله عز وجل، ولا أغضبتني ولا عصت**

---

(1) ذخائر العقبى: ٧٠.

(٢) الطبقات الكبرى ٨: ٢٤.

لي أمراً، لقد كنت أنظر إليها فتنكشف عني الهموم والأحزان»[(١)].

وجاء في آخر كلام لها مع علي عليه السلام: «**يا بن العم ما عهدتني كاذبة ولا خائنة، ولا خالفتك منذ عاشرتني**»، فقال عليه السلام: «**معاذ الله أنتِ أعلم وأبرّ وأتقى وأكرم وأشدّ خوفاً من الله أن أوبخك بمخالفتي**»[(٢)].

لقد كان التناغم والتلاؤم بين الإمام علي والسيدة فاطمة عليهما السلام ما تعكسه هاتان العبارتان، وكيف لا يكونان كذلك وهما من البيت الذي أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا بنص كتابه العزيز ﴿**إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾[(٣)].

---

(١) مناقب الخوارزمي: ٢٥٦، وكشف الغمة ١: ٣٦٣، وبحار الأنوار ٤٣: ١٣٤.

(٢) آمالي الشيخ الطوسي ١: ٣٨٤، وبلاغات النساء: لابن طيفور ٢٠، وروضة الواعظين: ١٥١.

(٣) الأحزاب: الآية ٣٣.



معركة أحد

٧/ شوال/ السنة ٣ هـ

كان سبب غزوة أحد: أن قريشاً لما رجعت من بدر إلى مكة وقد أصابهم ما أصابهم من القتل والأسر، فقد قتل منهم سبعون وأسر منهم سبعون. قال أبو سفيان: يا معشر قريش لا تدعوا النساء يبكين على قتلاكم فإنّ البكاء والدمعة إذا خرجت أذهبت الحزن والحرقة والعداوة لمحمد ويشمت بنا هو وأصحابه[1].

فلما أرادوا أن يغزوا رسول الله إلى أحد ساروا في حلفائهم من كنانة وغيرها، فجمعوا الجموع والسلاح، وخرجوا من مكة في ثلاثة آلاف، وأخرجوا معهم النساء يذكّرنهم ويحثّنهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وآله، وخرجت معهم هند بنت عتبة بن ربيعة.

---

(١) تفسير القمي ١: ١١٠.

فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك جمع أصحابه وأخبرهم: أن الله قد أخبره: أنّ قريشاً قد تجمعت تريد المدينة[١].

قال الطبرسي: واستشار أصحابه ونزل صلى الله عليه وآله الشعب من أحد في عدوة الوادي إلى الجبل[٢].

وأصبح رسول الله صلى الله عليه وآله فتهيأ للقتال، وجعل على راية المهاجرين علياً عليه السلام، وعلى راية الأنصار سعد بن عبادة، وقعد رسول الله صلى الله عليه وآله في راية الأنصار[٣].

ووضع صلى الله عليه وآله عبد الله بن جبير في خمسين من الرماة على باب الشِّعب، وقال له ولأصحابه: **إن رأيتمونا قد هزمناهم حتى أدخلناهم مكة فلا تخرجوا من هذا المكان، وإن رأيتموهم قد هزمونا حتى أدخلونا المدينة فلا تبرحوا والزموا منازلكم**[٤].

وقال صلى الله عليه وآله لهم: **اتقوا الله واصبروا، وإن رأيتمونا يخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم حتى أرسل إليكم.**

وقال صلى الله عليه وآله: **لا تبرحوا مكانكم هذا وإن قتلنا عن آخرنا، فإنما**

---

(١) تفسير القمي ١: ١١١.

(٢) تفسير القمي ١: ١١١.

(٣) إعلام الورى ١: ١٧٦.

(٤) تفسير القمي ١: ١١٢.

نُؤتى من موضعكم هذا[١].

بدء البراز بأحد:

قال القمي في (تفسيره): كانت راية قريش مع طلحة بن أبي طلحة العبدوي، فبرز ونادى: يا محمد تزعمون أنكم تجهزونا بأسيافكم إلى النار، ونجهزكم بأسيافنا إلى الجنة، فمن شاء أن يلحق بجنته فليبرز إليّ.

فبرز إليه أمير المؤمنين عليه السلام يقول:

يا طلح إن كنت كما تقول ... لنا خيول ولكم نصول

فاثبت لننظر أيّنا المقتول ... وأيّنا أولى بما تقول

فقد أتاك الأسد الصؤول ... بصارم ليس به فلول

ينصره القاهر والرسول

فقال طلحة: من أنت يا غلام؟ قال: **أنا علي بن أبي طالب**. قال طلحة: قد علمت أنه لا يجسر عليّ أحد غيرك.

فشدّ عليه طلحة فاتقاه أمير المؤمنين عليه السلام بالترس، ثم ضربه أمير المؤمنين عليه السلام على فخذيه فقطعهما جميعاً، فسقط على ظهره وسقطت الراية، فذهب علي عليه السلام ليجهز عليه فحلّفه بالرحم فانصرف

---

(١) الإرشاد ١: ٨٠.

عنه، فقال المسلمون: ألا أجهزت عليه؟ قال: **قد ضربته ضربة لا يعيش منها أبداً**.

وأخذ الراية أبو سعيد فقتله علي عليه السلام وسقطت الراية إلى الأرض.

فأخذها مسافع فقتله علي عليه السلام فسقطت الراية إلى الأرض، إلى أن قتل أمير المؤمنين عليه السلام التاسع من بني عبد الدار أرطاة فسقطت الراية إلى الأرض.

معصية الرُّماة:

فحمل الأنصار على مشركي قريش فانهزموا هزيمة قبيحة، ووقع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله في سوادهم، وانحطّ خالد بن الوليد في مئتي فارس فلقي عبد الله بن جبير وأصحابه فوق الجبل فاستقبلوهم بالسهام فردّوا.

ونظر أصحاب عبد الله بن جبير إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ينهبون سواد القوم، فقالوا لعبد الله: تقيمنا ههنا وقد غنم أصحابنا ونبقى نحن بلا غنيمة؟! فقال لهم عبد الله: اتقوا الله فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد تقدم إلينا أن لا نبرح.

فلم يقبلوا منه وأقبل ينسلّ رجل فرجل حتى أخلوا مراكزهم،

وبقي عبد الله بن جبير في إثني عشر رجلاً[١].

وانحطّ خالد بن الوليد على عبد الله بن جبير وقد فرّ أصحابه وبقي في نفر قليل، فقتلوهم على باب الشعب، واستعقبوا المسلمين فوضعوا فيهم السيف[٢].

ونظرت قريش في هزيمتها إلى الراية قد رفعت، فلاذوا بها.

هزيمة المسلمين ووقوف بعض الصحابة:

وانهزم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله هزيمة قبيحة، وأقبلوا يصعدون في الجبال وفي كل وجه. فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله الهزيمة كشف البيضة عن رأسه وقال: «**إني أنا رسول الله فإلى أين تفرّون عن الله ورسوله**».

لم يبق مع الرسول صلى الله عليه وآله إلاّ أمير المؤمنين عليه السلام وأبو دجانة، وكلما حملت طائفة على الرسول صلى الله عليه وآله استقبلهم أمير المؤمنين عليه السلام فيدفعهم عنه ويقتل فيهم حتى انقطع سيفه. فلما انقطع سيفه جاء إلى الرسول فقال: يا رسول الله إنّ الرجل يقاتل بالسلاح وقد انقطع سيفي. فدفع إليه الرسول سيفه «ذا الفقار» وقال: قاتل بهذا.

---

(١) تفسير القمي ١: ١١٢.

(٢) المصدر السابق: ١١٣.

فلـم يكـن يحمـل علـى رسـول الله أحـد إلاّ يـستقبله أمير المؤمنين عليه السلام فإذا رأوه رجعوا، وانحاز الرسول صلى الله عليه وآله إلى ناحيـة أحـد فوقف، فلم يزل علي عليه السلام يقاتلهم حتى أصابه فـي وجهـه وصـدره وبطنه ويديه ورجليه تسعون جراحة.

وسمعوا منادياً ينادي مـن الـسماء: «**لا سـيف إلاّ ذو الفقـار، ولا فتى إلاّ علي**». ونزل جبرئيل على الرسول وقال: هذه والله المواساة يا محمد.

فقال الرسول صلى الله عليه وآله: **لأني منه وهو مني**. فقال جبرئيل: وأنا منكما.

استشهاد حمزة رضي الله عنه:

وكان حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه يحمل على القـوم فـإذا رأوه انهزموا ولم يثبت له واحد منهم. وكان وحشي عبداً حبشياً لجبير بـن مطعم. وكانت هند بنت عتبة قد أعطـت وحـشياً عهـداً: لـئن قتلـت محمداً أوعلياً أو حمزة لأعطينّك رضاك.

يقول وحشي: أما محمد فلا أقدر عليه، وأما علي فرأيتـه رجـلاً حذراً كثير الالتفات فلم أطمع فيه، فكمنت لحمزة فرأيته يهـدّ النـاس هداً، فمرّ بي فوطأ على جرف نهر فسقط، فأخذت حربتـي فهززتهـا

ورميته بها فوقعت في خاصرته وخرجت مغمّسة بالدم[١].

وجاءت هند فأمرت بشق بطن حمزة وقطع كبده والتمثيل به، فجدعوا أنفه وأذنيه ومثّلوا به، ورسول الله مشغول عنه لا يعلم بما انتهى إليه أمره.

وقال القمي في (تفسيره): وجاءت إليه هند فقطعت مذاكيره وقطعت أذنيه وجعلتهما خرصين (حلقتين) وشدّتهما في عنقها، وقطعت يديه ورجليه[٢].

---

(١) تفسير القمي ١: ١١٦.

(٢) المصدر السابق: ١١٧.



غزوة الخندق (الأحزاب)

٣/ شوال / السنة الخامسة للهجرة

إن جماعة من اليهود خرجوا من المدينة حتى قدموا مكة إلى أبي سفيان لعلمهم بعداوته لرسول الله صلى الله عليه وآله وتسرّعه إلى قتاله، فذكروا له ما نالهم (من وقعة بني النظير) وسألوه المعونة على قتاله، فنشطت قريش لما دعوهم إليه من حرب رسول الله صلى الله عليه وآله، وجاءهم أبو سفيان فقال لهم: قد مكّنكم الله من عدوّكم فهذه اليهود تقاتله معكم ولا تنفكّ عنكم حتى يؤتى على جميعها أو تستأصله ومن اتبعه، فقويت عزائمهم إذ ذاك في حرب النبي صلى الله عليه وآله، ثم خرج اليهود من مكة إلى غطفان وقيس عيلان، فدعوهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وآله وضمنوا لهم النصرة والمعونة، وأخبروهم باجتماع قريش لهم على ذلك[1].

وخرجت قريش وقائدها أبو سفيان، وخرجت غطفان وقائدهم عُيينة

---

(١) الإرشاد ١: ٩٥، وإعلام الورى ١ :١٩٠، ومجمع البيان ٨ : ٥٣٣.

بن حصن في بني فزارة، والحارث بن عوف في بني مُرة، ووبرة بن طريف في قومه، واجتمعت قريش معهم[١]، وذكرهم ابن شهر آشوب فقال: فكانوا ثمانية عشر ألف رجل، والمسلمون في ثلاثة آلاف[٢].

وبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فاستشار أصحابه، فقال سلمان الفارسي: يا رسول الله إن القليل لا يقاوم الكثير في المطاولة (أي المجالدة)، فنحفر خندقاً يكون بيننا وبينهم حجاباً، فيمكنك منعهم في المطاولة، ولا يمكنهم أن يأتونا من كلّ وجه. فإنّا كنا - معاشر العجم في بلاد فارس - إذا دهمنا دهم من عدوّنا نحفر الخندق، فيكون الحرب من مواضع معروفة، فنزل جبرئيل على رسول الله ﷺ فقال: أشار سلمان بصواب[٣].

حفر الخندق

وقسَّم رسول الله ﷺ المهاجرين والأنصار جماعات جماعات، وأوكل إلى كل جماعة حفر موضع من الخندق وتنافس الناس يومئذ في سلمان الفارسي وأراد كلٌّ أن يضمّه إلى صفّه، فقال المهاجرون: سلمان منا وقالت الأنصار: سلمان منا ونحن أحق به!!

فبلغ رسول الله ﷺ قولهم فقال قولته الخالدة في شأن سلمان

---

(١) الإرشاد ١: ٩٥، وإعلام الورى: ١ :١٩.

(٢) المناقب ١ : ١٩٧.

(٣) راجع تفسير القمي ٢: ١٧٧.

يومذاك: «**سلمان منّا أهل البيت**»[١].

وبدأ رسول الله صلى الله عليه وآله بحفر الخندق وقد فرغوا من حفره قبل قدوم قريش بثلاثة أيام، وقدمت قريش وكنانة وسليم وهلال فنزلوا الزغابة، ووادي العقيق، عددهم قال: فوافوا في عشرة آلاف[٢].

وهم المعنيون بقوله سبحانه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً**﴾[٣] يعني يوم الأحزاب وهو يوم الخندق ﴿**إِذْ جَآءُوكُمْ مِّن فَوْقِكُمْ**﴾ وهم عيينة بن حصن في أهل نجد ﴿**وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ**﴾[٤] وهم أبو سفيان في قريش، وواجهتهم قريظة[٥].

قال الطبرسي: وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سلْع في ثلاثة آلاف من المسلمين، فضرب هناك عسكره، والخندق بينه وبين القوم. وأمر بالذراري والنساء فرفعوا في

---

(1) المغازي: ج٢ ص٤٤٦، الكامل في التاريخ: ج٢ص١٢٢.

(٢) تفسير القمي ٢: ١٧٦– ١٧٧.

(٣) سورة الأحزاب: الآية ٩.

(٤) سورة الأحزاب: الآية ١٠.

(٥) التبيان ٨: ٣٢٠.

الحصون[1].

برز الإيمان كله إلى الشرك كله

وجعل المشركون ينظرون إلى الخندق فيتهيّبون القدوم ولم يكونوا قبل ذلك رأوا مثله، فجعلوا يدورون ويدعون المسلمين: ألا هلمّوا للقتال والمبارزة، وأقاموا على ذلك شهراً لم يكن بينهم قتال إلا نضح بالنبل ورمي بالحجارة، فلما طال ذلك ندبوا من ينتدب منهم إلى اقتحام الخندق، وكان أشدّ من فيهم وأنجدهم عمرو بن عبد ودّ الذي طفر بفرسه الخندق إلى جانب رسول الله ﷺ، وركز رمحه إلى الأرض وأقبل يجول حوله ويرتجز ويقول:

ولقد بححت من النداء بجمعكم: هل من مبارز

فقال رسول الله ﷺ: **من له؟** فلم يجبه أحد، فقام أمير المؤمنين عليه السلام وقال: **أنا له يا رسول الله**. فقال: **يا علي هذا عمرو بن عبد ود فارس يليل**. فقال علي عليه السلام: **وأنا علي بن أبي طالب**.

فقال رسول الله ﷺ: **أُدن مني**، فدنا منه، فعممّه بيده ودفع إليه سيفه ذا الفقار، وقال له: **اذهب وقاتل بهذا**. ثم دعا له فقال: **اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله، ومن فوقه**

---

(١) مجمع البيان ٨: ٥٣٥.

ومن تحته[١].

وذكر الكراجكي: أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال ثلاث مرات: **أيكم يبرز إلى عمرو وأضمن له على الله الجنة؟!** وفي كل مرّة يقوم علي عليه السلام والقوم ناكسوا رؤوسهم. فاستدعاه وعمّمه بيده، فلما برز قال صلى الله عليه وآله: «**برز الإيمان كلّه إلى الشرك كلّه**».

فأخذ علي بن أبي طالب عليه السلام يهرول في مشيه، وهو يقول:

لا تعجلنّ، فقد أتاك مجيب صوتك غير عاجز

ذو نيّة وبصيرة، والصدق منجي كل فائز

فقال له عمرو: من أنت؟ قال عليه السلام: **أنا علي بن أبي طالب**. فقال عمرو: والله إن أباك كان لي صديقاً قديماً وإني أكره أن أقتلك، ما آمن ابن عمك حين بعثك إليّ أن أختطفك برمحي هذا فأتركك شائلاً بين السماء والأرض لا حيّ ولا ميّت، فقال له علي عليه السلام: **قد علم ابن عمي أنك إن قتلتني دخلت الجنّة وأنت في النار، وإن قتلتك فأنت في النار وأنا في الجنة**، فقال عمرو: وكلتاهما لك يا علي؟ تلك إذاً قسمة ضيزى.

فقال علي عليه السلام: **دع هذا يا عمرو، وإني سمعت منك وأنت متعلّق**

---

(١) تفسير القمي ٢: ١٨٣ وتاريخ الخميس ١: ٤٨٦ وكنز الفوائد: ١٣.

بأستار الكعبة تقول: لا يعرضنّ عليّ أحد في الحرب ثلاث خصال إلاّ أجبته إلى واحدة منها، وأنا أعرض عليك ثلاث خصال فأجبني إلى واحدة.

قال: هات يا علي، قال عليه السلام: **أحدها أن تشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمداً رسول الله** صلى الله عليه وآله. قال عمرو: نحّ عنّي هذه فاسأل الثانية. فقال: **أن ترجع وتردّ هذا الجيش عن رسول الله فإن يك صادقاً فأنتم أعلى به عيناً وإن يك كاذباً كفتكم ذؤبان العرب أمره.**

فقال: لا تتحدّث نساء قريش بذلك، ولا تنشد الشعراء في أشعارها، أني جبنت ورجعت على عقبي من الحرب وخذلت قوماً رأسوني عليهم.

فقال علي عليه السلام: **فالثالثة أن تنزل إليّ، فإنك راكب وأنا راجل، حتى أنابذك**. فوثب عن فرسه وعرقبه، وقال: هذه خصلة ما ظننت أنّ أحداً من العرب يسومني عليها، فنزل عن فرسه، وضرب وجهه حتى نفر، وأقبل على علي عليه السلام مصلتاً سيفه، فتجادلا ساعة، ثم اختلفا بضربتين، فضرب عمرو علياً على أمّ رأسه - وعليه البيضة - فقدّها وأثر السيف في هامته، وضربه علي عليه السلام فوق طوق الدرع فرمى برأسه. وثارت لذلك عجاجة فما انكشف إلاّ وهم يرون علياً عليه السلام

يمسح سيفه على ثياب عمرو وقد خرّ صريعاً[١].

وارتفعت بينهما عجاجة فقال المنافقون: قُتل علي بن أبي طالب. ثم انكشفت العجاجة فإذا أمير المؤمنين عليه السلام على صدر عمرو قد أخذ بلحيته يريد أن يذبحه، فلم يضربه، فوقع المنافقون في علي عليه السلام، فردّ عنه حذيفة، فقال له النبي صلى الله عليه وآله: **مه يا حذيفة فإن علياً سيذكر سبب وقفته**[٢].

فسأله النبي صلى الله عليه وآله عن سبب وقفته؟ فقال عليه السلام: **قد كان شتم أمي، وتفل في وجهي، فخشيت أن أضربه لحظّ نفسي، فتركته حتى سكن ما بي ثم قتلته في الله**[٣].

ثم تلقّاه النبي صلى الله عليه وآله فمسح الغبار عن عينيه وقال له: «**لو وُزن اليوم عملك بعمل جميع أمة محمد لرجح عملك على عملهم**»[٤] وقال صلى الله عليه وآله: «**لضربة علي يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين**»[٥].

---

(١) شرح الأخبار ١: ٢٩٦، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٩: ٢٠.

(٢) مناقب آل أبي طالب ٢: ١١٧.

(٣) المصدر السابق ٢: ١١٥.

(٤) كنز الفوائد ١٣٨. وبحار الأنوار ٢٠: ٢١٥.

(٥) الإقبال: ٤٦٧.

العوامل التي فرقت كلمة (الأحزاب):

هناك عوامل عديدة تسببت في تفرق الجيش العربي الذي زحف إلى المدينة لاجتياحها، وانقسام الأحزاب على أنفسهم، وإليك أبرزها:

١- إن أول عامل من تلك العوامل هو تكلم مبعوثي رسول الله صلى الله عليه وآله مع سادة غطفان وفزارة، لأن هذه المعاهدة وإن لم توقع إلا أنها لم تُنقضْ، فتسبب ذلك في أن يختلفوا مع قريش في الرأي، أي اجتياح المدينة وبشكل من الأشكال وإن لا يقدموا على أي إجراء عسكريّ مع غيرهم انتظاراً للتوقيع على تلك المعاهدة، ولهذا كلّما طلبت القيادة القرشية منهم الهجوم الشامل اعتذروا ببعض الأعذار تملّصاً من ذلك الطلب.

٢- مصرع (عمرو بن عبدو) فارس العرب الأكبر الذي كان الأغلبية في ذلك الجيش يعلقون عليه آمالهم في الانتصار على المسلمين، فلما قتل تملّك الجميع رعبٌ غريبٌ وانهارت آمالهم، وبخاصة عندما هرب زملاؤه الشجعان من وجه عليّ عليه السلام خوفاً، ورهبة)[1].

(1) سيد المرسلين: ٢٧٢ ط دار البيان العربي.



النبي صلى الله عليه وآله وصلح الحديبية

شهر ذي القعدة/ السنة ٦ للهجرة

عندما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام أنه دخل البيت (الكعبة) وحلق رأسه، وأخذ مفتاح البيت، وعرّف مع المعرفين، فقصّ صلى الله عليه وآله هذه الرؤيا على أصحابه وتفاءل به خيراً[1].

ولم يلبث أن أمر أصحابه بالتهيّؤ للعمرة، ودعا القبائل المجاورة التي كانت لا تزال على شركها وكفرها إلى مرافقة المسلمين في هذه السفرة، ولهذا شاع في جميع أنحاء الجزيرة العربية أن المسلمين سيتجهون في شهر ذي القعدة صوب مكة يريدون العمرة.

ولقد كانت هذه السفرة الروحانية تنطوي - مضافاً إلى العطاء الروحاني والمعنوي - على مصالح اجتماعية وأهداف سياسية، فقد

---

(1) مجمع البيان ٩: ١٢٦.

عززت مكانة المسلمين في شبه الجزيرة العربية، وتسببت في انتشار دين التوحيد في أوساط المجتمع العربي آنذاك.

ولقد قرر النبي ﷺ في السنة السادسة للهجرة أن ينطلق بالمسلمين في رحلة عبادية مؤدياً العمرة، ليعلن من خلالها مواصلته للدعوة الإسلامية ويوضح ما يمكنه من مفاهيم العقيدة الإسلامية ومعالمها واحترامها وتقديسها للبيت الحرام، وتكون حركته هذه مرحلة انفتاح رسالي جديد وعهد انتقال من مرحلة الدفاع إلى مرحلة الانتشار والهجوم.

وقد سلك الرسول ﷺ وأصحابه طريقاً وعراً ثم هبطوا إلى منطقة سهلة تدعى بـ«الحديبية» فبركت ناقة رسول الله فقال ﷺ: «**ما هذا لها عادة ولكن حبسها حابس الفيل بمكة**»[١]، فأمر ﷺ المسلمين بالنزول فيها - وقال ﷺ: «**لا تدعوني قريش اليوم إلى خطة يسألونني فيها صلة الرحم إلاّ أعطيتهم إياها**»[٢]، ولكنّ قريشاً بقيت تترصد المسلمين ووقف فرسانها في طريقهم، ثم بعثت إلى النبي ﷺ بديل بن ورقاء في وفد من خزاعة لتستعلم هدف النبي ﷺ وتصده عن دخول مكة، وعاد الوفد ليقنع قريشاً أن السلم والعمرة هدف النبي

---

(1) بحار الأنوار ٢٠: ٢٢٩.

(2) الطبري ٣: ٢١٦.

ﷺ. واستكبرت قريش وبعثت بوفد آخر يرأسه الحليس – سيد الأحابيش – فلما رآه النبي ﷺ مقبلاً قال: «**إن هذا من قوم يتألهون**» (أي يعظمون الله). فلما رأى الحليس الهدي رجع إلى قريش من دون أن يلتقي بالنبي ﷺ ليقنع قريشاً أن النبي ﷺ والمسلمين جاءوا معتمرين. ولكن لم تقتنع قريش فأرسلت مسعود بن عروة الثقفي الذي انبهر من مشهد المسلمين وهم يتسابقون لالتقاط القطرات المتناثرة من وضوئه ﷺ فعاد إلى قريش قائلاً: يا معشر قريش إني قد جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه، وإني والله ما رأيت ملكاً في قوم قط مثل «محمد» في أصحابه، ولقد رأيت قوماً لا يسلمونه لشيء قط فروا رأيكم[1].

وقد أعرب النبي ﷺ عن احترامه للأشهر الحرم من خلال رحلة المسلمين العباديّة حيث لم يحملوا معهم سوى سلاح المسافر، كما دعا القبائل المجاورة أن يكونوا إلى جانب المسلمين في هذه الرحلة رغم أنهم لم يكونوا مسلمين مؤكداً أن العلاقة بين الإسلام وباقي القوى غير قائمة على أساس الحرب. واستنفر النبيّ ﷺ ألفاً وأربعمائة مسلم – على أقل التقادير – وساق الهدي أمامه (سبعين بعيراً). وبلغ قريشاً نبأ خروج النبي ﷺ والمسلمين لأداء العمرة

---

(1) المغازي ٢: ٥٩٨.

فأصبحت قريش في ضيق من أمرها وكان أمامها طريقان: إما أن تسمح للمسلمين بأداء العمرة وبذلك يتحقق للمسلمين أملهم في زيارة البيت الحرام ويحظى المهاجرون بالاتصال بأهلهم وذويهم وربما دعوتهم إلى الإسلام، أو أن تمنع قريش المسلمين عن دخول مكة وبذلك ستتعرض مكانة قريش للاهتزاز وتكون محطّاً للوم القبائل الأخرى بسبب سوء معاملتها لقوم مسالمين يبتغون أداء مناسك العمرة وتعظيم الكعبة المشرفة لا غير.

لقد أبت قريش إلاّ العتو والمعاندة فأخرجت مجموعة من فرسانها تقدّر بمئتي فارس بقيادة خالد بن الوليد لمواجهة النبي ﷺ والمسلمين. ولما كان النبي ﷺ قد خرج محرماً لا غازياً قال ﷺ: يا ويح قريش لقد أكلتهم الحرب ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب فإن هم أصابوني كان الذي أرادوا، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرين، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة، فما تظن قريش؟ فو الله لا أزال أجاهد على الذي بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة.

ثمّ أمر بالعدول عن طريق فرسان قريش تجنباً لوقوع قتال تتخذه قريش ذريعة لصحة موقفها وفخراً لها. وأرسل النبي ﷺ خراش بن اُمية الخزاعي ليفاوض قريشاً في الأمر، فعقروا ناقته وكادوا أن يقتلوه.

ولم ترع قريش حرمة ولا ذمة للأعراف والتقاليد. ولم تلبث قريش أن كلفت خمسين رجلاً للتحرش بالمسلمين عسى أن يبدر منهم ما ينفي صفة السلم عنهم. وفشلت خطتهم وتمكن المسلمون من أسرهم فعفا رسول الله صلى الله عليه وآله عنهم مؤكداً بذلك هدفه السلمي[١].

وأراد النبي صلى الله عليه وآله أن يبعث إلى قريش رسولاً آخر - ولم يتمكن من إرسال علي بن أبي طالب ممثلاً عنه؛ لأنّ علياً كان قد وتر قريش بقتل صناديدها في معارك الدفاع عن الإسلام، فانتدب عمر بن الخطاب ولكن عمر اقترح على النبي صلى الله عليه وآله أن يرسل عثمان بن عفان[٢]؛ لكونه أموياً وذا قرابة مع أبي سفيان. وتأخر عثمان في العودة من قريش وأُشيع خبر مقتله، فكان هذا إنذاراً بفشل كل المساعي السلمية لدخول مكة. ولم يجد الرسول صلى الله عليه وآله بدّاً من التهيّؤ للقتال، وهنا كانت بيعة الرضوان إذ جلس النبي صلى الله عليه وآله تحت شجرة وأخذ أصحابه يبايعونه على الاستقامة والثبات مهما كلف الأمر، وهدأ استنفار المسلمين بعودة عثمان. وأرسلت قريش سهيل بن عمرو لمفاوضة النبي صلى الله عليه وآله.

وأخيراً انتهت مفاوضات الجانبين - رغم كل ما أبداه مندوب

---

(1) تاريخ الطبري ٣: ٢٢٣.

(2) السيرة النبوية ٢: ٣١٥.

قريش من التصلّب – إلى عقد وثيقة موادعة وهدنة نُظّمت في نسختين ووقع عليها الجانبان.

ويروي كافّة المؤرخين وأرباب السير أن رسول الله ﷺ استدعى علياً عليه السلام، وأمره أن يكتب تلك الوثيقة قائلاً له: **اكتب (بسم الله الرحمن الرحيم)** فكتب (عليّ) ذلك فقال سهيل: لا أعرفُ هذا، ولكن اكتب: باسم اللّهم!!

فقال رسول الله ﷺ: **اكتب: باسمك اللهم وامحُ ما كتبتَ**. ففعل (عليٌّ) ذلك.

ثم قال رسول الله ﷺ: **أكتب: (هذا ما صالح عليه رسول الله سهيل بن عمرو)**.

فقال سهيل، لو أجبتُك في الكتاب إلى هذا لأقررتُ لك بالنبوّة فامحُ هذا الاسمَ واكتب: محمَّد بن عبد الله (أو قال: لو شهدتُ أنك رسولُ الله لم أقاتلك، ولكن أكتب اسمَك واسم أبيك).

ولم يرض بعض من حضر من المسلمين في هذه النقطة بأن يرضخ رسول الله ﷺ لمطالب (سهيل) إلى هذه الدرجة، ولكن رسول الله ﷺ الذي كان يلاحظ مصالح عليا غفل عنها ذلك البعض كما سنذكرها فيما بعد رضي بمطلب (سهيل)، وقال لعليّ عليه السلام: **أُمحها يا عليّ**.

فقال عليٌّ عليه السلام بأدب بالغ: **يا رسول الله إن يديَّ لا تنطلِقُ لمحو اسمك من النبوة.**

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: **فضع يدي عليها**، فمحى رسول الله صلى الله عليه وآله بيده كلمة: (رسول الله) نزولاً عند رغبة سهيل، مفاوض قريش[1].

التاريخ يعيد نفسه:

ولقد ابتلي علي عليه السلام تلميذ النبي الأول بمثل هذه التجربة المرّة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

فيومَ امتنع عليٌّ عليه السلام عن محو كلمة رسول الله صلى الله عليه وآله عن اسم النبيّ صلى الله عليه وآله قال له النبي صلى الله عليه وآله: **يا عليّ إنك أبيتَ أن تمحو اسمي من النبوة فوَ الذي بعثني بالحق نبياً لتجيبنَّ أبناءهم إلى مثلِها وأنتَ مَضيضٌ مضطَهدٌ.**

ولقد بقيت هذه القضية في ذاكرة علي عليه السلام، حتى إذا كان يوم

(1) الإرشاد: ٦٠، أعلام الورى: ١٠٦، بحار الأنوار ٢٠: ٣٦٨، وقد أخطأ الطبري في هذا المقام إذ قال في إحدى رواياته لهذه الحادثة: قال لعلي عليه السلام: أُمحُ (رسول الله)، قال: لا والله لا أمحاك أبداً فأخذه رسول الله صلى الله عليه وآله وليس يحسن يكتب فكتب مكان (رسول الله) محمّد. وهكذا نسب الكتابة إلى شخص رسول الله صلى الله عليه وآله ونحن نعلم أنه أُمي، لا يحسن الكتابة، وقد حققنا هذه المسألة في المجلد الثالث من موسوعة مفاهيم القرآن: ٣١٩- ٣٧٤.

(صفين) وخدع أصحاب الإمام علـي عليه السلام بالأسـلوب المـاكر الـذي اتبعه جيش الشام الذي قاتل علياً عليه السلام بقيادة معاوية بـن أبـي سـفيان ومساعدة عمرو بن العاص، وأجبروا الإمام عليه السلام على عقد الصلح مع معاوية فشكّل الجانبان لجنة لتنظيم وثيقة ذلك الـصلح، كُلِّـفَ (عبيـد الله بن رافع) كاتب الإمام من جانب الإمام عليّ عليه السلام بأن يكتب وثيقة الصلح، فكتب:

(هذا ما تقاضى عليه أميرُ المؤمنين عليٌّ)، قال عمرو بن العـاص ممثل معاوية في تلك المفاوضات: لو علمنا أنـك أميـرُ المـؤمنين لـم ننازعك!!

وهكذا طالب عمرو بن العاص بحذف عبارة أمير المؤمنين.

وطال الكلام والتشاجر في هذا الموضوع، ولم يكن الإمام علـيٌّ يريد أن يعطي حجة للبسطاء مـن أصـحابه، ولهـذا لـم يرضـخ لهـذا المطلب، ولكنه بعد إلحاح من أحد قادة جيشه سمح بأن يمحى لقب (أمير المؤمنين) من اسمه ثم قال: **الله أكبر سُنَّةٌ بسنة**.

وهو بذلك يشير إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وآله له يوم الحديبية[1].

---

(1) الكامل في التاريخ: ج٣ ص١٦٢، راجع المصدر لتقف على القصة بكاملها ولتقـف على ما دار بين الإمام وابن العاص.

شروط الصلح:

وبسبب تشدد «سهيل» في شروط الصلح كادت المفاوضات أن تفشل، وأخيراً تمّ الاتفاق على عدّة شروط للصلح، هي:

١ – تعهّد الطرفين بترك الحرب عشر سنين، يأمن فيها الناس ويكفّ بعضهم عن بعض.

٢ – من أتى محمّداً من قريش بغير إذن وليّه ردّه عليهم، ومن جاء قريشاً ممّن مع «محمّد» لم يردّوه عليه.

٣ – من أحب أن يدخل في عقد «محمّد» وعهده دخل فيه ومن أحبّ أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه.

٤ – يرجع «محمّد» بأصحابه إلى المدينة عامه هذا فلا يدخل مكة، وإنما يدخل مكة في العام القادم فيقيم فيها ثلاثة أيام ليس معه سوى سلاح الراكب، والسيوف في القِرَب[١].

٥ – لا يُستكره أحد على ترك دينه ويعبد المسلمون الله بمكة علانية وبحرية وأن يكون الإسلام ظاهراً بمكة وأن لا يؤذى أحد ولا يعيّر[٢].

٦ – لا إسلال (سرقة) ولا إغلال (خيانة) بل يحترم الطرفان

(1) السيرة الحلبية ٣: ٢١.

(2) بحار الأنوار ٢٠: ٣٥٢.

أموال الطرف الآخر[١].

٧ - لا تعين قريش على « محمّد » وأصحابه أحداً بنفس ولا سلاح[٢].

ولم يرضَ نفر من المسلمين ببنود الصلح، فاعترضوا على النبي ﷺ متصوّرين أنّ النبيّ ﷺ قد تراجع أمام قريش ولم يدركوا أن النبي ﷺ مسدد من الله وأنه ينظر بعين متطلّعة إلى مستقبل الرسالة الإسلامية ومصالحها العليا.

وردّ النبي ﷺ على المعترضين بقوله: «**أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيّعني**». وأقرّ النبي ما كرهه بعض المسلمين، وجاءت قضية تسليم أبي جندل لقريش[٣] إثارة جديدة في ظرف توتّر فيه الوضع النفسي عند بعضهم.

ولكن هذا الصلح كان في الواقع فتحاً مبيناً وكبيراً للمسلمين على خلاف ما كان يبدو للبعض من ظاهر بنود الصلح ؛ إذ انقلبت شروط المعاهدة لصالح المسلمين بعد قليل.

---

(1) مجمع البيان ٩: ١١٧.

(2) بحار الأنوار ٢٠: ٣٥٢.

(3) بحار الأنوار ٢٠: ٢٥٢.

وفي طريق الرجوع إلى المدينة نزلت آيات القرآن الكريم[1] لتؤكد البعد الحقيقي للصلح مع زعيمة الوثنية، وتبشّر المسلمين بدخول مكة قريباً.

(1) راجع سورة الفتح (٤٨): الآيات ١- ٧ و١٨- ٢٨.



فتح حصون خيبر

٢٤/ رجب/ السنة السابعة للهجرة

حين شجّع يهود خيبر جميع القبائل العربية على محاربة الحكومة الإسلامية، والقضاء عليها، واستطاع جيش الأحزاب المشترك بمساعدة يهود خيبر أن يتحركوا في يوم واحد من مختلف مناطق الجزيرة العربية لاجتياح المدينة، واستئصال المسلمين في أكبر تحالف عسكري، واتحاد نظامي من نوعه في ذلك العصر، كانت خيانتهم ولؤمهم يدعو النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه أن يقضي على بؤرة المؤامرة، ومركز الفساد والخطر، وأن يجرد سكانها جميعاً من السلاح، كل ذلك لما كان منهم من خيانة العهد، ونقض المعاهدة التي أجراها النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه مع جميع اليهود القاطنين حول المدينة[١].

---

(١) تاريخ الطبري ٢: ٤٦.

ومن هنا رأى رسول الله ﷺ إنّ من الحكمة، بل ومن الضرورة بمكان أن يطفئ شرارة الخطر هذه إلى الأبد، ولهذا فقد أمر ﷺ المسلمين بالتهيّؤ لغزو خيبر آخر مراكز اليهود في الجزيرة العربية، وقال لأصحابه: «**لا تخرجوا معي إلا راغبين في الجهاد وأما الغنيمة فلا**»، فاستخلف رسول الله ﷺ على المدينة نميلة بن عبد الله الليثي[1].

لقد خرج مع النبي ﷺ إلى خيبر ما يقارب من ألف وستمائة مقاتل، بينهم مائتا فارس[2]، وعندما أشرف ﷺ على خيبر قال داعياً ربه: «**اللهم ربّ السماوات وما أظللن، ورب الأرضين وما أقللن، ورب الشياطين وما أضللن، ورب الرياح وما أذرين، فإنا نسألك خير هذه القرية، وخير أهلها، وخير ما فيها، ونعوذ بك من شرّها، وشرّ أهلها، وشرّ ما فيها**»[3].

وكانت خطة النبي في بداية التحرك قطع النقاط والطرق الحساسة ليلاً عن كل حصون السبعة لليهود، وفعلاً خرج مزارعوا خيبر وعمالهم إلى أراضيهم في الصباح وإذا بهم يفاجؤون بجنود

---

(١) سيد المرسلين، للسبحاني ٢: ٣٨٧- ٣٨٨.

(٢) أمالي الشيخ الطوسي: ١٦٤.

(٣) السيرة النبوية، لابن هشام ١: ٣٣٥.

الإسلام حول حصونهم، وقد سدّوا عليهم جميع الطرق، فأفزعهم ذلك، وخافوا خوفاً شديداً، فأدبروا وهم يقولون: محمد والجيش معه. وبادروا فوراً إلى إغلاق أبواب الحصون وإحكامها.

ولكن على الرغم من كلّ التكتيك العسكري لليهود والحصانة الكبيرة، والقتال المستميت فقد استطاع المسلمون فتح أكثر الحصون، وكان أول حصن فُتح هو (ناعم) ثم (القموص) الذي كان يرأسه أبناء أبي الحُقيق، وأُسرت فيه (صفية بنت حُيي بن أخطب)، التي صارت فيما بعد من زوجات رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم فتح (الكتيبة) وبعده (النطاة)..

واستعصت باقي الحصون كسلالم والوطيح على المسلمين، فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله جماعة من المقاتلين، ولكنه سرعان ما رجعوا، ولم يفتحوا واحداً منها[١]،

فأغضب النبي صلى الله عليه وآله ذلك، فجمع الناس وقال لهم: «**لأعطينّ الراية غداً إلى رجل يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسولهُ، يفتح الله على يديه، كرّار غير فرّار**»[٢].

---

(١) راجع تاريخ الطبري ٢: ٣٠٠، والسيرة الحلبية ٢: ٣٥.

(٢) عبارة مشهورة جداً بين المؤرخين، راجع كتب التاريخ.

أنا الذي سمتني أميّ حيدر

بات الأصحاب وكل واحد منهم يتمنى أن يكون صاحب هذا الوسام الخالد، وفي الصباح نادى النبي صلى الله عليه وآله: أين علي؟ فقيل: يا رسول الله به رمد، وهو راقد بناحية، فقال صلى الله عليه وآله: **إئتوني بعلي**، فأمرّ - رسول الله صلى الله عليه وآله يده الشريفة على عيني علي عليه السلام ودعا له بخير فعوفي من ساعته، ثم دفع اللواء إلى علي، وقال له: **اذهب ولا تلتفت**. فوقف علي عليه السلام ومن دون أن يلتفت، قال لرسول الله صلى الله عليه وآله: **وعلى ماذا أقاتلهم**، قال صلى الله عليه وآله: **على الإسلام أو الجزية**[1].

لمّا وصل علي بن أبي طالب عليه السلام إلى الحصون كان قد ارتدى درعاً قوياً، وحمل ذا الفقار، وأخذ يهرول بشجاعة منقطعة النظير والجند خلفه، حتى ركز راية النبي البيضاء على الأرض تحت الحصن، فلما رأى اليهود دنوه نحو الحصن أخذ يخرج كبار صناديدهم، وكان أول من خرج إليه أخو مرحب ويدعى الحارث، فتقدم إلى علي وصوته يدوي في ساحة القتال، بحيث تأخر من كان خلف علي من الجند فزعاً وخوفاً[2]، ولكن سرعان ما جندله أمير المؤمنين بسيفه ورمى به جثة هامدة على الأرض، فغضب مرحب

---

(١) السيرة الحلبية ٢: ٣٧.

(٢) المصدر السابق.

(بطل خيبر المعروف) لقتل أخيه، فخرج من الحصن وهو غارق في السلاح، قد لبس درعاً يمانياً، -وقيل داودياً، ووضع على رأسه خوذة منحوتة من حجارة خاصة، وتقدم نحو علي كالفحل الصؤول يرتجز، ويقول:

قد عَلِمَت خيبرُ أني مرحبُ　　　شاكي السِّلاح بطلٌ مجربُ
إن غلب الدهرُ فإني أغلبُ　　　والقرنُ عندي بالدّما مخضّبُ

فأجابه علي عليه السلام مرتجزاً:

أنا الذي سمّتني أمي حيدرة　　　ضرغامُ أجام وليثٌ قسورة
عَبل الذراعين غَليظُ القيصرة　　　كليث غاباتٍ كريهُ المنظرة

فأخذا يتبادلان الضربات بالسيوف، وقعقعتها تثير الرعب والفزع في قلوب المشاهدين، وفجأة هبط سيف بطل الإسلام القاطع على المفرق من رأس مرحب قدّت خوذته نصفين ونزلت على رأسه وشقته نصفين إلى أسنانه.

لقد كانت هذه الضربة من القوة بحيث أفزعت أكثر من خرج مع مرحب من أبطال اليهود وصناديدهم ففروا من فورهم، ولجأووا إلى الحصن، وبقي جماعة فقاتلوا علياً منازلة حتى قتلهم جميعاً، ثم لاحق الفارين منهم حتى باب الحصن، فضربه عند الحصن رجل من اليهود فطاح ترسه من يده، وجاءته السهام تترى فقلع باباً على الحصن

وأخذ يتترس به عن نفسه، فلم يزل ذلك الباب في يـده وهـو يقاتـل حتى فتح الله على يديه، ثم ألقاه من يديـه حـين فـرغ، وقـد حـاول ثمانية من أبطال الإسلام، ومـنهم أبـو رافـع مـولى رسـول الله صلى الله عليه وآله أن يقلبوا ذلك الباب، أو يحركوه من مكانه فلم يقدروا على ذلك[1].

يقول اليعقوبي في (تاريخه): إنّ الباب الذي قلعه علي عليه السلام كـان من الصخر، وكان طوله أربعة أذرع وعرضـه ذراعـين[2]، وكـان هـذا الباب يفتحه (٢٢) رجلاً، ويغلقه مثلهم، وفـي هـذا يقـول ابـن أبـي الحديد المعتزلي في شرح النهج:

يا قالع الباب الذي عن هـزّه عجزت أكف أربعون وأربـع

وقـد نقـل المؤرّخـون قـضايا عجيبـة حـول قلـع بـاب خيبـر، وخصوصياته، ومواصفاته، وعن بطولات علي عليه السلام فـي هـذا الفـتح، وجميعها لا تتمشى ولا تتيسر مع القدرة البشرية العاديـة، وفـي هـذا الصدد يقول علي عليه السلام: «**ما قلعتها بقوة بشرية، ولكن قلعتها بقوة إلهيـة ونفس بلقاء ربها مطمئنة راضية**»[3].

لم يتجاوز عدد قتلى المسلمين في هذه الغزوة ٢٠ شخصاً ولكن

---

(١) تاريخ الطبري٢: ٩٤، عن سيرة ابن هشام٢: ٣٤٩، وعنه تاريخ الخميس٢: ٤٧-٥٠.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢: ٤٦.

(٣) بحار الأنوار ٢١: ٤٠.

قتل من اليهود أكثر من هذا بكثير، وقد سجل التاريخ أسماء ٩٣ رجلاً منهم[١].

وعاد علي عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وآله منتصراً ظافراً، وفي هذه الأثناء وصل جعفر بمن معه من المهاجرين من الحبشة، فاستقبله النبي صلى الله عليه وآله وقال: «**ما أدري بأيّهما أنا أسرُّ بفتح خيبر أم بقدوم جعفر**».

فسلام الله على الإمام علي عليه السلام وأخيه جعفر لما قدّماه للنبي صلى الله عليه وآله ولرسالته الخالدة.

المؤمنون بالله وأصحاب المروءات من البشر يعاملون العدو المنهزم المقهور عند الغلبة عليه والظفر به باللطف والحب، ويعفون عنه ويتناسون روح الانتقام.

وكذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وآله عندما تغلب على يهود خيبر فقد عاملهم بعد الانتصار معاملة حسنة، وشملهم بعفوه، ولطفه رغم كل ما ارتكبوه في حق رسول الله صلى الله عليه وآله من ظلم وجناية وتأليب العرب الوثنيين ضد الإسلام، وإشعال حروب كادت أن تودي بالحكومة الإسلامية وتستأصل المسلمين، وتقضي على جهود رسول الإسلام.

فقد قبل بطلب اليهود بأن يسكّنهم في خيبر كما كانوا، وأن

---

(١) فروع الكافي ١: ١٢٩– ١٣٠، الخصال ٢: ٨٢– ٨٣، امتاع الاسماع ١: ٣٢٥.

يترك أراضيهم وبساتينهم بأيديهم، على أن يكون له نصف محاصيلها سنوياً.

بل إن النبي صلى الله عليه وآله - كما يروي ابن هشام - هو الذي اقترح هذا الأمر على اليهود، وترك لهم حرية التصرف في مزارعهم وأراضيهم ليغرسوا أو يزرعوا ما يريدون من الشجر[١].

لقد كان في مقدور النبي صلى الله عليه وآله، كأي فاتح آخر، أن يريق دمهم جميعاً، أو أن يجليهم برمتهم من أراضيهم، أو أن يجليهم برمتهم من أراضيهم، أو يجبرهم على اعتناق الإسلام، ولكنّه -خلافاً لتصور زمرة مغرضة من المستشرقين، وطلائع الاستعمار الثقافي الذين يتصورون ويزعمون بأن الإسلام دين القهر والقوة، وإن المسلمين أجبروا الأمم والأقوام المغلوبة على ترك عقائدها، واعتناق الإسلام لم يفعل مثل هذا العمل قط، بل تركهم أحراراً في ممارسة شعائرهم، والبقاء على ما كانوا يعتقدونه من أصول دينهم وفروعه.

وأما الجزية[٢] فقد كان لقاء دفاع الحكومة الإسلامية عنهم، وحمايتهم من الأعداء، وتوفير الأمن لهم، إذ كان حماية أموالهم وأنفسهم من وظائف المسلمين.

---

(١) السيرة النبوية ٢: ٣٣٧.

(٢) الجزية ما يؤخذ من أهل الذمة.

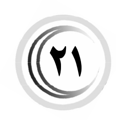
ولقد حصل المسلمون أثناء جمع غنائم (خيبر) على قطعة من التوراة، فطلبت اليهود من النبي ﷺ أن يعيدها إليهم، فأمر رسول الله ﷺ مسؤول بيت المال بإعادتها إليهم[1]، وهذا يكشف عن احترام رسول الله ﷺ للشرائع الأخرى.

وفي قبال كل هذه الألطاف لم تكف اليهود عن خيانتها وكيدها، بل ظلت تخطط - في الخفاء - للإيقاع برسول الله ﷺ وأصحابه، وإلحاق الأذى بهم.

وإلى يومنا هذا واليهود وكيانهم اللاشرعي الغاصب يتآمروا على المسلمين في كل أنحاء العالم، وظلمهم وتعديهم على الشعب الفلسطيني واللبناني في السنوات الأخيرة ضد هذين الشعبين المقاومين لا يخفى على أحد.

---

(١) المغازي ٢: ٦٨٠، امتاع الاسماع ١: ٣٢٣.



فتح مكة المكرمة(١)

٢٠/ رمضان/ السنة ٨ هـ

بتجلى في هذا القسم من التاريخ الإسلامي الوجه الإنساني الرحيم الذي كان يتسم به رسول الله ﷺ الذي كان يحرصُ على دماء أعداء الرسالة الألداء، وأموالهم، ويسعى إلى حفظها وصيانتها، كما لو كانوا أصدقاءً لا أعداءً.

فهو يعفو بمروءة كبيرة، وبُعد مدى واسع، ورؤية مستقبلية عميقة عن قريش، ويغفر لهم جرائمهم وأذاهم ويُصدرُ عفواً عاماً لم يعرف له تاريخ الفاتحين نظيراً في أسبابه، وعلله، وفي ظروفه وملابساته.

تقدّم جيشُ التوحيد العظيم نحو مكة، حتى أصبح على مقربة

(١) اقتباساً من كتاب سيد المرسلين للشيخ جعفر السبحاني.

منها.

وقد كان رسول الله ﷺ عازماً على أن يفتح مكة من دون إراقة دماء، وإزهاق أرواح، وأن يسلّم العدوُّ من دون أية شروط.

وكان من العوامل التي ساعدت على تحقيق هذه الغاية - مضافاً إلى عامل التكتم والتستر ومبدأ المباغتة - أن العباس عمّ النبي ﷺ توجه إلى مكة كداعية صلح ووسيط سلام بين قريش والنبي ﷺ.

وقد قام العباس بدوره على أفضل صورة، فقد أرعب أبو سفيان من قوة الإسلام العسكرية الكبرى، ولهذا رأى النبي ﷺ أن يخلّى سبيله ليذهب إلى مكة قبل دخول جنود الإسلام فيها، فيخبر أهلها بعظمة وقوة الجيش الإسلامي القادم إليهم، ويحذرهم من مغبة المقاومة والمواجهة، ويدلهم على طريق الخلاص والنجاة، وهو التسليم للأمر الواقع، ففعل ذلك.

فدخلت جميع وحدات الجيش الإسلامي وقطعاته وكتائبه وفرقه مكة من دون قتال ومن دون أن تلقى من أهلها مقاومة.

ثم إن رسول الله ﷺ دخل مكة من ناحية أذاخر، وهي أعلى نقطة في مكة في موكب عظيم جليل، فضرب له قبة من ادم بالحجون (عند قبر عمه العظيم أبي طالب) ليستريح فيها، وقد أصروا

عليه ﷺ بأن ينزل في بعض بيوت مكة فأبى ﷺ[١].

كسرُ الأصنام وغسل الكعبة:

لقد استسلمت مكة التي كانت مركزاً رئيسياً للشرك والوثنية طوال أعوام عديدة ومديدة، أمام قوات التوحيد الظافرة، وسيطر جنود الإسلام على جميع نقاط تلك المدينة المقدسة.

ولقد استراح رسول الله ﷺ في الخيمة التي ضربوها له في الحجون بعض الوقت.

ثم إنه ﷺ بعد أن اطمأن واغتسل ركب راحلته (القصواء) وتوجّه إلى المسجد الحرام لزيارة بيت الله المعظم والطواف به، بينما كان يحمل معه السلاح، والمغفر على رأسه، وتحيط به هالة من العظمة والجلال، ويحدق به المهاجرون والأنصار، وقد صف له الناس من المسلمين والمشركين، بعضٌ يغمره الفرح والسرور، وآخرون يكادون ينفجرون من الغيظ.

فطاف رسول الله ﷺ بالبيت على راحلته، وقد أخذ بزمامها (محمد بن مسلّمة) وفيما احتبست الأصوات في الصدور، واتجهت الأبصارُ إليه ﷺ فوقعت عيناه الشريفتان - في الشوط الأول من

---

(١) الامتاع ١: ٣٨٠.

طوافه – على الأصنام الكبرى (هبل) و(اساف) و(نائلة) منصوبة فوق الكعبة، فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله كلّما مر بصنم منها يشير بقضيب في يده ويقول: (جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهُوقاً) فيقع الصنم لوجهه.

وكانت جدران الكعبة من الداخل مغطّاة بصور الأنبياء والملائكة وغيرهم، فأمر النبي صلى الله عليه وآله بمحوها جميعاً، وغسلها بماء زمزم.

يقول المحدثون والمؤرخون: لقد كُسِرَت بعض الأصنام الموضوعة على الكعبة على يد (علي بن أبي طالب) وذلك عندما قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: «يا علي إصعد على منكبي».

فصعد علي عليه السلام على منكبه، ثم نهض به فألقى صنم قريش الأكبر، وكان من نحاس، ثم ألقى بقيّة الأصنام إلى الأرض وحطّمها[1].

النبي يعلنُ عن العفو العام:

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله أعلن العفو العام عن جميع أهل مكة بقوله:

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ١: ٨٤ بإسناد صحيح، السيرة الحلبية ٣: ٨٦، تاريخ الخميس ٢: ٨٦ و٨٧.

«ألا لبئس جيرانُ النبي كنتم، لقد كذّبتم، وطردتم، وأخرجتم، وآذيتم، ثم ما رضيتم حتى جئتموني في بلادي تقاتلونني إذهبوا فأنتم الطُلقاء»[1].

خطاب النبي التاريخي في المسجد الحرام:

كان الاجتماع الذي شهده المسجد الحرام يوم فتح مكة اجتماعاً عظيماً جداً.

المسلمون والمشركون، والصديق والعدو حضروا بأجمعهم في ذلك الاجتماع، وكانت تجلل هالة من عظمة الإسلام وعظمة نبيه الكريم ﷺ رحاب ذلك المكان المبارك، وكان الصمت والهدوء، وحالة من الانتظار والترقب، تخيم على أجواء مكة.

لقد آن الأوان – الآن – لأن يكشف رسول الله ﷺ للناس عن الملامح الحقيقة لدعوته المباركة ويوقف ذلك الحشد الهائل المتعطش على معالم رسالته العظمى، ومبادئ دينه الحنيف، وبالتالي أن يكمل حديثه الذي بدأه قبل عشرين عاماً ولكنّه لم يُوفق لإتمامه بسب مضايقات المشركين، ومعارضتهم، وبسبب ما أوجدوه من عقبات وعراقيل في طريقه.

---

(١) بحار الأنوار ٢١: ١٠٦، السيرة النبوية ٢: ٤١٢.

ولقد كان رسول الله ﷺ ابن تلك المنطقة، وتلك البيئة، ولهذا كان عارفاً – تمام المعرفة – بأمراض المجتمع العربي، وأدوائه، وعلاج تلك الأدواء ودوائها.

لقد كان يعرف ﷺ علل إنحطاط المجتمع المكي وأسباب تخلفه عن ركب الحضارة والمدنية، وعن اللحاق بقافلة التكامل البشري الصاعد.

من هنا رأى أن يضع يده على مواضع الداء في ذلك المجتمع المريض، وأن يعالج أمراض البيئة العربية بشكل كامل، وكأي طبيب حاذق، وحكيم ماهر.

ونحن هنا ندرج أبرز المقاطع في الخطاب التاريخي الذي ألقاه سيد المرسلين ﷺ على الحشود الكبيرة المتجمعة في ذلك اليوم عند بيت الله المعظم.

تلك المقاطع التي يعالج كل منها مرضاً اجتماعياً خاصاً من أمراض المجتمع في ذلك العصر وحتى في عصرنا الحاضر.

١- التفاخر بالنسب:

كان التفاخر بالنسب والقبيلة والعشيرة من الأمراض المستحكمة المتجذرة في البيئة العربية الجاهلية، وكان من أكبر أمجاد المرء أن ينتسب إلى قبيلة معروفة، ويتفرع نسبه عن عشيرة بارزة كقريش

مثلاً:

ولقد قال رسول الله ﷺ في خطابه المذكور لإبطال هـذه الـسنّة الجاهلية المقيتة:

«**أيها الناس إنّ الله قد أذهـب عـنكم نخـوة الجاهليـة وتفاخرهـا بآبائها، ألا إنكم من آدم، وآدم من طين، ألا خير عباد الله عبدٌ اتقاه**».

لقد عمد رسول الله ﷺ في خطابه - لإفهام العالم البـشري بـأن ملاك الشخصية والتفوق إنما هو (التقوى) والورع فقط.

٢- التفاضل بالقومية العربية:

لقد كان رسول الله ﷺ يعلم جيداً أن هذه الجماعـة مـن البـشر تعتبر (العربية) والانتساب إلى العرق العربـي مـن المفـاخر الكبـرى، وكانت النخوة العربية قد ترسخت في قلوب تلك الجماعـة وعروقهـا كداء دفين ومرض مزمن، فقال في خطابه لمعالجة هذا الداء الخبيـث وتحطيم هذا الصرح الموهوم:

«**إن العربية، ليست بأب والد، ولكنه لسان ناطق، فمن قصُر عملـه لم يبلغ به حسبه**».

وقـال ﷺ: «**إن الناس من آدم إلى يومنا هذا مثل أسنان المـشط، لا فضل للعربي على أعجمي، ولا لأحمر على الأسود إلا بالتقوى**».

وقد ألغى رسول الإنسانية الأعظم بهذا البيان الصريح كـل أنـواع

التمييز الظالمة، وكل ألوان التشدد مع الآخرين، وفعل وبيّن في ذلـك العصر ما لم يفعله وما لم يبينه ميثاق حقـوق الإنـسان مـع كـل هـذه الضجة الإعلامية التي نشهدها في عالمنا الحاضر.

٣- الأخوة الإسلامية:

ولقد ارتبط قسم من خطاب رسـول الله ﷺ فـي ذلـك الحـشد العظيم بمسألة اتحاد المسلمين ووحدة كلمتهم، وحق المـسلم علـى أخيه المسلم.

وقد كان مقـصوده ﷺ مـن بيـان هـذه الحقـوق المتبادلـة بـين المسلمين التي تعتبر من مميزات الـدين الإسـلامي الحنيـف، هـو أن يرغب غير المسلمين فـي الإسـلام إذا هـم سـمعوا ورأوا مثـل هـذه الحقوق، ومثل هذه العلاقات المتينة بين المسلمين.

فقد قال في هذا الصعيد:

«**المسلم أخو المسلم، والمسلمون إخوة وهو يد واحدة على مـن سواهم، نتكافؤ دماؤهم، ليسعى بذمتهم أدناهم**»[1].

---

(١) لقد نقلنا هذه المختارات من: روضـة الكـافي: ص ٢٤٦، الـسنة النبويـة ٢: ٤١٢، المغازي ٢: ٨٣٦، بحار الأنوار ٢١: ١٠٥، شرح ابن أبي الحديد ١٧: ٢٨١.



وفاة إبراهيم عليه السلام ابن النبي صلى الله عليه وآله

٢٩/ شوال عام/ ٨ هـ

كان مولده في السنة الثامنة للهجرة في شهر ذي الحجة على رواية للكازروني في بحار الأنوار واليعقوبي والطبري عن الواقدي(١).

جاء في المناقب للحلبي عن تفسير النقاش بإسناده إلى ابن عباس قال: كنت عند النبي صلى الله عليه وآله وعلى فخذه الأيسر ابنه إبراهيم، وعلى فخذه الأيمن الحسين بن علي عليه السلام هو تارة يقبل هذا وتارة يقبل هذا، إذ هبط جبرئيل بوحي من رب العالمين، فلما سرى عنه قال: **أتاني جبرئيل من ربي فقال: يا محمد، إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول لست أجمعهما، فافد أحدهما بصاحبه.**

فقال صلى الله عليه وآله: **يا جبرائيل، قل لربي أن يقبض إبراهيم فديته للحسين.**

(١) الطبري ٣: ٩٥ واليعقوبي ٢: ٨٧.

فقبض بعد ثلاث، فكان النبي ﷺ إذا رأى الحسين عليه السلام مقبلاً قبّله وضمّه إلى صدره ورشف ثناياه، وقال: **فديت من فديته بابني إبراهيم**[١].

وروى البرقي في المحاسن بسنده عن الإمام الكاظم عليه السلام قال: «**لما قبض إبراهيم ابن رسول الله ﷺ جرت في موته ثلاث سنن: أما واحدة، أن الشمس انكسفت فقال الناس: إنما انكسفت الشمس لموت ابن رسول الله! فصعد رسول الله ﷺ المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:**

أيها الناس إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله يجريان بأمره مطيعان له، لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا انكسفا أو أحدهما صلوا[٢]، **قال: ثم نزل المنبر فصلى بالناس الكسوف، فلما سلّم، قال: يا علي، قم فجهز ابني، فقام علي عليه السلام فغسل إبراهيم عليه السلام وحنطه وكفّنه، ومضى رسول الله حتى انتهى به إلى قبره، فقال الناس، إن رسول الله نسي أن يصلي على ابنه لما دخله من الجزع عليه! فانتصب ﷺ قائماً ثم قال: إن جبرئيل أتاني وأخبرني بما قلتم، زعمتم أني نسيت أن أصلي على ابني لما دخلني من الجزع! ألا وإنه ليس كما ظننتم، ولكن اللطيف الخبير فرض عليكم خمس صلوات،**

---

(١) مناقب آل أبي طالب ٤: ٨٨- ٨٩.

(٢) المحاسن ٢: ٢٩- ٣١، وفي فروع الكافي ٣: ٢٠٨.

وجعل لموتاكم من كل صلاة تكبيرة، وأمرني أن لا أصلي إلا على من صلى، ثم قال ﷺ: **يا علي إنزل وألحد إبني، فنزل علي فألحد إبراهيم في لحده.**

فقال الناس: إنه لا ينبغي لأحد أن ينزل في قبر ولده إذ لم يفعل رسول الله بابنه، فقال رسول الله ﷺ: **أيها الناس، إنه ليس عليكم بحرام أن تنزلوا في قبور أولادكم، ولكن لست آمن إذا حل أحدكم الكفن عن ولده أن يلعب به الشيطان فيدخله عند ذلك من الجزع ما يحبط أجره**».

وروى الطوسي في الأمالي، بسنده عن عائشة قالت: «لما مات إبراهيم بكى النبي ﷺ حتى جرت دموعه على لحيته، فقيل له: يا رسول الله تنهى عن البكاء وأنت تبكي؟!

فقال ﷺ: **ليس هذا بكاء، إنما هو رحمة، ومن لا يرحم لا يُرحم**»[١].

وروى الكليني في فروع الكافي بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام قال: لما مات إبراهيم ابن رسول الله ﷺ، هملت عين رسول الله بالدموع ثم قال: «**تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط الرب، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون**»[٢].

---

(١) أمالي الطوسي: ٣٨٨.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢: ٨٧.



النبي ﷺ في غزوة تبوك

٢٩ / رجب / السنة ٩ هـ

لقد كان لانتشار الإسلام في شبه الجزيرة العربية، وفتوحات المسلمين المشرقة في الحجاز صداه في خارج الحجاز، وكان ذلك يُرعب الأعداء، ويدفعهم إلى التفكير في حيلة.

وهذا ما دفع إمبراطور الروم إلى أن يحشد جموعاً كبيرة، ويتهيأ بكل ما أوتي من قوة لمهاجمة المسلمين وغزوهم بغتة، ليحدّ من انتشار الإسلام، ومن قوته التي أخذت تتعاظم، ومن انتشار نفوذه السياسي، الذي بات يزلزل سلطانه.

فحشد ما يقارب أربعين ألف فارس وراجل، وكان مجهّزاً بأحدث الأسلحة والتجهيزات، وقد استقرّ على الشريط الحدودي

لأرض الشام[١]، في منطقة (تبوك)، التحقت به قبائل عديـدة تـسكن الحدود مثل قبيلة (لخـم) و(عاملـة) و(غـسان) و(جـذام)، وتقـدمت طلائع ذلك الجيش حتى منطقة (البلقاء).

ولما حملت الأنباء هذا الخبر إلى النبي ﷺ أمر أصحابه بـالتهيؤ لغزوهم، فجهّز جيشه وعسكر في (ثنيـة الـوداع)، وكـان يتـألف مـن عشرة آلاف فارس، وعشرين ألف راجل، وقد أمر رسول الله ﷺ أن تتخذ كل قبيلة راية لنفسها[٢].

المتخلفون عن القتال:

تخلّف البعض عن المشاركة في هذه الغزوة، فمـنهم الجـدّ بـن قيس - وكان من الشخصيات ذات المكانـة الاجتماعيـة المرموقـة - حيث قال ﷺ له: يا أبا وهب هل لك العام تخرج معنا؟

فقال: يا رسول الله أو تأذن لـي، ولا تفتنـي، فـوالله لقـد عـرف قومي ما أحدٌ أشدُّ عجباً بالنساء مني، وإني لأخـشى أن رأيـتُ بنـات بني الأصفر (الروم) لا أصبرُ عليهنَّ. فأعرضَ عنه رسول الله ﷺ بعـد أن سمع منه ذلك العـذر الـصبياني، وقـد نـزل فيـه قـول الله تعـالى: **﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلا تَفْتِنِّي أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ**

---

(١) حيث كانت تحت سيطرة إمبراطورية الروم.

(٢) السيرة لابن هشام ٢: ٥١٥-٥١٧.

لَمُحيطَةٌ بِالْكافِرِينَ﴾[١]، كما تخلّف عن النبي ثلاثة حتى يفرغوا من القطاف والحصاد، ثم يلتحقوا به، فوبّخهم القرآن.

وتخلّف جماعة ممن تظاهروا بالإسلام والإيمان، فأخذوا يثبّطون الناس عن رسول الله ﷺ، وقالوا لهم: يغزو محمدٌ بني الأصفر مع جهد الحال والحرّ، والبلد البعيد إلى ما لا قِبَل له به، يحسب محمدٌ أن قتال بني الأصفر اللعب، فنزل قوله تعالى: ﴿**وقالوا لا تَنْفِرُوا في الْحَرِّ قُلْ نارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كانُوا يَفْقَهُونَ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً جَزاءً بِما كانُوا يَكْسِبُونَ﴾**[٢].

وعلى إثر هذه الأحداث التي أوجدها المنافقون اكتشف النبي ﷺ شبكة جاسوسية في المدينة تجلس في بيت (سويلم اليهودي) ويحيكون المؤامرات ليثبطوا المسلمين، فبعث إليهم من أحرق الدار عليهم فلاذوا بالفرار.

ومن جانب آخر أتى رجال إلى النبي ﷺ يرغبون في الخروج مع رسول الله، وطلبوا منه ما يحملهم عليه من دابّة، فقد كانوا أهل حاجة فقراء، فقال لهم: لا أجد ما أحملكم عليه. فتولوا وهم يبكون لعدم تمكنهم من المشاركة في الغزو مع النبي ﷺ، ونزل فيهم قوله تعالى: ﴿**وَلا عَلَى الَّذِينَ إِذا ما أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لا أَجِدُ ما أَحْمِلُكُمْ**

---

(١) التوبة: الآية ٤٩.

(٢) التوبة: الآيتين ٨١ و٨٢.

عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً أَلاَّ يَجِدُوا ما يُنْفِقُونَ﴾[(١)].

استخلاف الإمام علي عليه السلام في المدينة

لم يغزو النبي صلى الله عليه وآله غزواً إلاّ كان علي عليه السلام معه وحامل لوائه، غير أن النبي صلى الله عليه وآله في هذه المرة منع علياً من الخروج من المدينة معه، لأنه صلى الله عليه وآله كان يدرك جيداً أن المنافقين والمتربصين والمتحينين الفرص من رجال قريش سيستغلون فرصة غيبة النبي القائد عن المدينة فيثيرون فيها فتنة، ويجهزون على الحكومة الإسلامية الفتية بانقلاب أو ما شابه ذلك، وأن هذه الفرصة إنما تسنح لهم إذا قصد رسول الله صلى الله عليه وآله مكاناً نائياً، وانقطع ارتباطه بالمدينة، ولقد كانت تبوك أبعد نقطة يخرج إليها النبي صلى الله عليه وآله من جميع غزواته، فخوفاً من أن يقلبوا الأوضاع في غيابه ترك فيها علياً، على الرغم من أنه استخلف على المدينة (محمد بن مَسْلَمة)، حيث قال لعلي: «**أنت خليفتي في أهل بيتي ودار هجرتي وقومي، يا علي إن المدنية لا تصلح إلاّ بي وبك**»[(٢)].

ولقد استاء المنافقون من إبقاء علي عليه السلام في المدينة، وحاولوا بثّ الدعايات والشائعات الخبيثة بغية تحريض علي عليه السلام على

---

(١) التوبة: الآية ٩٢.

(٢) بحار الأنوار ٢١: ٢٠٧، والسيرة النبوية لابن هشام ٢: ٥٢٠.

الخروج من المدينة والالتحاق بالنبي ﷺ، فقالوا: ما خلّف رسول الله علياً إلا استثقالاً له وتخفيفاً منه، أو أنه دعاه إلى الخروج لتبوك، ولكن علياً امتنع من الخروج بحجة الحر الشديد، وبُعد الطريق، وإيثاراً للدعة والراحة والرفاهية، أو أنه خلفه مع النساء والأطفال.

ولإبطال مثل هذه الشائعات توجّه علي عليه السلام إلى النبي ﷺ وقال له: **يا نبي الله زعم المنافقون أنك إنما خلّفتني أنك استثقلتني، أو تخففت مني، أو خلفتني مع النساء والأطفال**. فقال له النبي ﷺ: **كذبوا، ولكنني خلفتك لما تركت ورائي، فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك، أفلا ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي** - أو قال له: **لا ينبغي أن أذهب إلاّ وأنت خليفتي**[١].

النبي ﷺ في طريقه إلى تبوك:

تحرك النبي ﷺ من معسكره إلى تبوك، وفي طريقه راسل كلاً من قبيلة تميم، وغطفان وطي، التي كانت تسكن في مناطق بعيدة عن المدينة، بغية الاشتراك في هذا الغزو الاستثنائي، وقد استجاب لدعوته الكثير من الفدائيين الغيارى.

وقد واجه جيش الإسلام في طريقه إلى تبوك مصاعب كثيرة،

---

(١) مسند أحمد ١: ٣٠٦٢/٧٠٩، والسنن الكبرى للنسائي ٥: ١١٩ ح٨٤٢٩، وغيرهما كثير.

ومشاقاً بليغة حيث الرياح الشديدة والسامّة، والعواصف القوية بحيث ربما تحتمل البعير بصاحبه، وتلقيه في واد آخر، ولهذا فكان النبي ﷺ قد نبههم بعقل آبالهم، وأن لا يخرج أحد منهم في تلك الليلة وحده من خبائه.

كما أن الجيش واجه في الطريق أزمة العطش، وعدم وجود الماء حتى حمل ذلك البعض على نحر إبلهم ليشقوا أكراشها، ويشربوا ماءها، بينما صبر آخرون.

ولم يدم صبرهم طويلاً حتى أغاثهم الله تعالى بسحابة ممطرة، أروت جيش الإسلام، واحتملوا ما يحتاجون إليه.

حلّ جيش الإسلام في أرض تبوك في غرة شعبان في السنة التاسعة للهجرة، ولكن لم يرَ أثراً لجيش الروم، وكأن جيش الروم لما علموا بكثرة جنود الإسلام، وكانوا قد سمعوا عن شجاعتهم وتضحياتهم الفريدة، رأوا أنه من صالحهم الانسحاب، وعدم دخول حرب قد تكسر شوكتهم وكبريائهم وعظمتهم[١].

وهنا كان النبي ﷺ أمام خيارين، فإما أن يقفل راجعاً إلى المدينة، وكأنّ شيئاً لم يقع، وإمّا أن يهاجم الروم عبر الدخول في أراضي الشام، فاستشار النبي ﷺ أصحابه، فقالوا: إن كنت أُمرت بالسير فسر، فقال ﷺ: لو أمرتُ به ما استشرتكم فيه. فأشاروا عليه

---

(١) المغازي للواقدي ٣: ١٠١٩.

بالرجوع إلى المدينة، فقبل النبي اقتراحهم وأقفل راجعاً بجيشه[1].

قطاف غزوة تبوك:

هب أن هذا المسير الطويل لم ينتج غزواً ولا فتحاً، ولكن كانت له قطاف مهمة جداً، وإليك بعضها:

أولاً: كانت هناك قبائل من النصارى كأيلة، وأذرح والجرباء ودومة الجندل، وكان من المحتمل أن يستغل الروم قواهم ضد الإسلام، ويحملوا بمساعدتهم على الحجاز، فعقد النبي أثناء رجوعه من تبوك معاهدة عدم اعتداء، وأن لا يعينوا على المسلمين أحداً، فحصل النبي ﷺ على أمن واسع على الحجاز من الحدود الشامية.

ثانياً: ارتقاء سمعة الجيش الإسلامي، وازدياد عظمته في قلوب سكان الحجاز، وعرف الصديق والعدو أن المقدرة العسكرية الإسلامية بلغت من القوة والعظمة بحيث أصبح بمقدورها أن تواجه أكبر القوى في العالم، وهذا ما أدّى أن يتخلّى الكثير من القبائل عن التفكير في التمرد والطغيان.

ثالثاً: كان هذا السفر بمثابة التمهيد لفتح الشام، فقد تعرّف قادة هذا الجيش طرق هذه المنطقة ومشاكلها، وتعلموا كيفية تجييش الجيوش الكبرى في وجه القوى العظمى، ولعله لذلك، كانت الشام

---

(١) السيرة الحلبية ٣: ١٤٢.

أول منطقة فتحها المسلمون بعد وفاة النبي ﷺ.

المنافقون يخططون لاغتيال النبي ﷺ:

لدى عودة النبي ﷺ إلى المدينة تآمر (١٢منافقاً) منهم ثمانية من قريش، والباقي من المدينة لاغتيال رسول الله ﷺ في أثناء الطريق، وذلك بتنفير ناقته ليطرحوه في واد كان هناك، حيث كان بين الشام والمدينة عقبة لما وصل الجيش إليها قال لهم النبي ﷺ: **من شاء منكم أن يأخذ بطن الوادي فإنه أوسع لكم**، فأخذ الناس بطن الوادي، بينما أخذ ﷺ طريق العقبة، فيما يسوق (حذيفة بن اليمان) ناقة النبي، ويقودها (عمار بن ياسر) فبينما هم يسيرون إذ التفت النبي إلى خلفه، فرأى في ضوء ليلة مقمرة فرساناً ملثمين لحقوا به من ورائه لينفروا به ناقته، وهم يتخافتون، فغضب النبي ﷺ، وصاح بهم، وقال لحذيفة: **اضرب وجوه رواحلهم**. فأرعبوا وهربوا وخالطوا الناس كيما يعرفوا.

يقول حذيفة: فعرفتهم برواحلهم، وذكرتهم للنبي ﷺ، وقلت: يا رسول الله ألا تبعث إليهم لتقتلهم. فأجابه: **إن الله أمرني أن أعرض عنهم، وأكره أن يقول الناس إن محمداً دعا أناساً من قومه وأصحابه إلى دينه، فاستجابوا له، فقاتل بهم حتى ظهر على عدوّه، ثم أقبل**

عليهم فقتلهم، ولكن دعهم يا حذيفة فإن الله لهم بالمرصاد[١].

هذا وقد منع النبي صلى الله عليه وآله حذيفة من إذاعة أسمائهم، والعجيب أن عمر بن الخطاب كان يكرر على حذيفة قوله: أقسمت عليك بالله أأنا منهم؟[٢].

---

(١) المغازي للواقدي ٣: ١٠٤٢-١٠٤٥، وعنه في إمتاع الأسماع ١: ٤٧٧.

(٢) السيرة النبوية لابن كثير ٤: ٣٤، وشرح النهج لابن أبي الحديد ٦/ باب ٣٨٥/٨٣.



النبي ﷺ في يوم المباهلة

٢٤/ذي الحجة/السنة ٩ هـ[(١)]

لما انتشر الإسلام بعد فتح مكة وقوى سلطانه، وفد إلى النبي ﷺ الوفود، فمنهم من أسلم ومنهم من استأمن ليعود إلى قومه برأيه ﷺ فيهم، وكان ممن وفد عليه أبو حارثة أسقف نجران في ثلاثين رجلاً من النصارى، منهم العاقب والسيد وعبد المسيح، فقدموا المدينة وقت صلاة العصر، وعليهم لباس الديباج والصلب، فلما صلى النبي ﷺ العصر توجهوا إليه يقدمهم الأسقف، فقال له: يا محمد ما تقول في السيد المسيح؟ فقال النبي عليه وآله السلام: «**عبد**

---

(١) إنّ يوم ٢٤ من شهر ذي الحجة، هو يوم المباهلة على الأشهر وقيل هو يوم ٢٥ من شهر ذي الحجة وأمّا السنة التي وقعت فيها قضية المباهلة فهي السنة التاسعة أو العاشرة بعد فتح مكة،

الله اصطفاه وانتجبه» فقال الأسقف: أتعرف له – يا محمد – أباً ولـده؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله: «**لم يكن عن نكاح فيكون له والد**»، قال: فكيف قلت: إنه عبد مخلوق، وأنت لم تر عبداً مخلوقاً إلا عن نكـاح ولـه والـد؟ فأنزل الله تعالى الآيات مـن سـورة آل عمـران إلـى قولـه: ﴿**إِنَّ مَثَـلَ عِيسَىَ عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِـمَّ قَـالَ لَـهُ كُـن فَيَكُـونُ * الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُنْ مِّن الْمُمْتَرِينَ * فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِـن بَعْـدِ مَـا جَآءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَـا وَأَبْنَـآءكُمْ وَنِـسَآءنَا وَنِـسَآءكُمْ وَأَنْفُسَنَا وأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةُ اللّهِ عَلَـى الْكَـاذِبِينَ**﴾[١] فتلاهـا النبي صلى الله عليه وآله على النصارى، ودعاهم إلى المباهلة.

وقال صلى الله عليه وآله: «**إن الله عز اسـمه أخبـرني أن العـذاب ينـزل علـى المبطل عقيب المباهلة، ويبين الحـق مـن الباطـل بـذلك**»[٢] فـاجتمع الأسقف مع عبد المسيح والعاقب على المشورة، فـاتفق رأيهـم علـى استنظاره إلى صبيحة غد من يومهم ذاك فلما رجعوا إلى رحالهم قال لهم الأسقف: انظروا محمداً في غد، فإن غدا بولـده وأهلـه فاحـذروا مباهلته، وإن غدا بأصحابه فباهلوه، فإنه على غير شيء، فلما كان من الغد جاء النبي صلى الله عليه وآله وقد اكتسى بعباءة، وأدخل معه تحت الكساء، علياً

---

(١) آل عمران: الآيات ٥٩– ٦١.

(٢) الإرشاد ١: ١٦٦.

وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، وقال: «**اللهم إنه قد كان لكل نبي من الأنبياء، أهل بيت هم أخص الخلق إليه، اللهم وهؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً**»، فهبط جبرئيل بآية التطهير في شأنهم، ثم خرج النبي صلى الله عليه وآله، بهم عليهم السلام للمباهلة، فلما بصر بهم النصارى، ورأوا منهم الصدق، وشاهدوا أمارات العذاب، لم يجرؤوا على المباهلة، فطلبوا المصالحة، وقبلوا الجزية عليهم.

فصالحهم النبي صلى الله عليه وآله على ألفي حلة من حلل الأواقي قيمة كل حلة أربعون درهماً جياداً، فما زاد أو نقص كان بحساب ذلك، وكتب لهم النبي صلى الله عليه وآله كتاباً بما صالحهم عليه.



وقائع حجة الوداع

شهر ذي الحجة/ السنة ١٠ هـ

في أواخر السنة العاشرة للهجرة قرر النبي صلى الله عليه وآله أن يسير إلى حج بيت الله الحرام في مكة المكرمة، فأمر مناديه أن ينادي في المدينة وبين القبائل بأن رسول الله صلى الله عليه وآله يقصد مكة للحج هذا العام، فأحدث ذلك شوقاً وابتهاجاً عظيمين في نفوس جمع كبير من المسلمين، فتهيأت أعداد كبيرة لمرافقة رسول الله صلى الله عليه وآله، وضربت مضارب وخيم كثيرة خارج المدينة المنورة بانتظار حركة النبي صلى الله عليه وآله وتوجهه إلى مكة(١).

وفي مطلع اليوم السادس والعشرين من شهر ذي القعدة خرج رسول الله صلى الله عليه وآله من المدينة متوجهاً إلى مكة، وقد استخلف مكانه في

---

(١) السيرة الحلبية ٣: ٣٨٩.

المدينة أبا دجانة الأنصاري، وقد ساق معه ما يزيد عن ستين بدنة، وعندما بلغ الموكب ذي الحليفة – وهي نقطة فيها مسجد الشجرة – أحرم بلبس قطعتين عاديتين من القماش الأبيض من مسجد الشجرة، ثم أحرم ولبى بقوله: «**لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك..**».

وهذه التلبية هي في الحقيقية تلبية لنداء إبراهيم الخليل، كما أنه ﷺ كان يكرر هذه التلبية كلما شاهد راكباً، أو علا مرتفعاً من الأرض، أو هبط وادياً، ولم يقطع تلبيته حتى شارف مكة في يوم الاثنين الرابع من ذي الحجة في العام العاشر للهجرة، وكان في آخر نهار ذلك اليوم[١]، فلما أصبح في اليوم التالي اغتسل ودخل مكة نهاراً[٢] وذلك من العقبة، فلما انتهى إلى باب المسجد – باب شيبة – استقبل القبلة (الكعبة) فحمد الله وأثنى عليه وصلى على أبيه إبراهيم[٣]، ثم دخل بناقته العضباء واستلم الركن (الحجر الأسود) بمحجته (عصاً قصيرة معوجة الرأس)، وقبّل الحجر[٤] ثم طاف بالبيت سبعة أشواط، ثم صلى ركعتين خلف مقام إبراهيمعليه السلام، قرأ في

---

(١) انظر بحار الأنوار ٢١: ٣٩، وفروع الكافي ١: ٢٣٣.

(٢) مغازي الواقدي ٢: ١٠٩٧.

(٣) بحار الأنوار ٢١: ٣٩٦، وفروع الكافي ١: ٢٣٤.

(٤) بحار الأنوار ٢١: ٤٠٢، وفروع الكافي ١: ٢٨٣، ومغازي الواقدي ٢: ١٠٩٨.

الأولى بعد الفاتحة سورة الكافرون، وفي الثانية التوحيد[١]، ثم دخل زمزم فشرب منه، ثم استقبل الكعبة وقال: «اللهم إني أسألك علماً نافعاً ورزقاً واسعاً، وشفاءً من كلّ داء وسقم». ثم رجع إلى الحجر الأسود ليستلمه وقال لأصحابه: «**ليكن آخر عهدكم بالكعبة استلام الحجر**» ثم استلمه وخرج إلى الصفا، وقال لأصحابه: **ابدؤوا بما بدأ به الله تعالى إذ قال: ﴿إِنّ الصّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللهِ﴾** حتى صعد الصفا فقام عليه، فاستقبل القبلة فوحّد الله وكبّره قال:

«**لا إله لا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله وحده، أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده**». قال مثل هذا ثلاث مرات، ودعا بين ذلك، ثم نزل إلى بطن الوادي ومشى حتى صعد المروة، ففعل على المروة كما فعل على الصفا[٢].

خطبته صلى الله عليه وآله في آخر عمرته:

أنه لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وآله من سعيه وهو على المروة أقبل على الناس بوجهه، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

---

(١) بحار الأنوار ٢١: ٤٠٤، صحيح مسلم ٤: ٣٦، وفي مغازي الواقدي ٢: ١٠٩٨.

(٢) بحار الأنوار ٢١: ٤٠٤، صحيح مسلم ٤: ٣٦، مغازي الواقدي ٢: ١٠٩٩.

«**إن هذا جبرائيل - وأومأ بيده إلى خلفه - يأمرني أن آمر من لم يسق هدياً أن يحل، ولو استقبلت من أمري ما استدبرت لصنعت مثل ما أمرتكم، ولكني سقت الهدي، ولا ينبغي لسائق الهدي أن يحل ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ﴾**.

فقال سراقة بن ملك الكناني: يا رسول الله، علمنا ديننا كأننا خلقنا اليوم؛ فهذا الذي أمرتنا به ألعامنا هذا أم لما يستقبل؟

فقال رسول الله ﷺ: **بل هو للأبد إلى يوم القيامة، وشبك أصابعه وقال: دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة**[1].

وفي يوم التروية خرج ﷺ إلى مناسك الحج وكان بعد الزوال وبعد الغسل والإهلال بالحج، فمرّ بمنى وصلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر، ثم بعد طلوع الشمس جاء نمرة من موقف عرفات ثم سار إلى عرفات، وانتهى النبي ﷺ إلى نمرة. بجبال شجر الأراك من بطن عرفة من عرفة فوجد قبته قد ضربت هناك فنزل بها حتى زاغت الشمس.

فلما زاغت الشمس أمر بناقته القصواء فرحلت له، فخرج وقد اغتسل فقال: أيها الناس، إن الله باهى بكم في هذا اليوم ليغفر لكم

---

(١) بحار الأنوار ٢١: ٣٩١، أما في صحيح مسلم عن جابر: فمن كان منكم ليس معه هدي فليحل وليجعلها عمرة.

عامة وخطب فيهم خطبة أكدَّ فيها على النقاط التالية:

من خطبة الرسول ﷺ في عرفات:

١- تحريم دماء المسلمين وأموالهم بعضهم على بعض، فقد قال:

«**أيها الناس اسمعوا قولي واعقلوه، فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً، أيها الناس إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم... وبالغ كثيراً في المحافظة على دماء المسلمين وأموالهم**».

٢- إلغاء العادات الجاهلية الوثنية في الأخذ بالثأر، فقد قال ﷺ: «**إن كل دم كان في الجاهلية موضوع، وأنا أضع دم ابن ربيعة بن الحارث**».

ما أروع النبي ﷺ حيث إنه قدوة للمسلمين جميعاً، فبدأ بأقربائه في تنفيذ أحكام الإسلام فابن ربيعة بن الحارث الذي قتله البعض، وضع النبي ﷺ دمه وأسقطه، لكي يشجع المسلمين على ترك الثأر.

٣- أداء الأمانة إلى أهلها، فقد قال ﷺ: «**إنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم، وقد بلّغت فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها**».

وقد أكد الإسلام كثيراً على أداء الأمانة إلى أهلها، فقد جاء

عنهم عليهم السلام: «**أدِ الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك**».

٤- التأكيد على حرمة الربا، وأن ذلك المال الحاصل منه لا يملكه المرابي، ولا يجوز قبضه، وقد بدأ صلى الله عليه وآله بأقربائه في إسقاط الربا، فأسقط ربا عمه العباس، قال صلى الله عليه وآله: «**أيها الناس إن كل ربا موضوع، ولكن لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون، وإن ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كله**».

٥- الوصية بالنساء خيراً، قال صلى الله عليه وآله: «**أيها الناس إن لكم على نسائكم حقاً، ولهن عليكم حقاً، لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع، وتضربوهن ضرباً غير مبرح، فإن تبن فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف، واستوصوا بالنساء خيراً، فإنهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئاً، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمات الله، إعقلوا أيها الناس قولي فإني قد بلغت**».

٦- التركيز على حق المسلم على أخيه المسلم، قال صلى الله عليه وآله: «**أيها الناس اسمعوا قولي واعقلوه تعلمون أن كل مسلم أخ للمسلم، وأن المسلمين إخوة، فلا يحل لامرئٍ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه، فلا تظلمُن أنفسكم ألا فليبلغ شاهدكم غائبكم؛ لا نبي بعدي ولا**

أمة بعدكم، ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع»[١].

٧- الإيصاء بالتمسك بالكتاب والعترة، وأن التمسك بهما سببٌ لكل هداية ومجنبٌ عن كل غواية وضلالة، كما أن تركهما أو ترك أحدهما مفتاح الضلالة والانحراف، قال ﷺ: «**إني تارك فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، أوصيكم الله في أهل بيتي... أوصيكم الله في أهل بيتي... أوصيكم الله في أهل بيتي**»[٢].

ثم اشهد النبي ﷺ ربه عليهم بقوله: **اللهم اشهد... اللهم اشهد... اللهم اشهد.**

وهكذا أكمل النبي ﷺ حجه، وعلّم المسلمين حجهم، وكانت آخر حجّة حجّها النبي ﷺ، ولذلك سميت **حجة الوداع**، وانصرف راجعاً إلى المدينة ومعه من كان من الجموع ولمّا، وصل إلى غدير خم من الجحفة التي تتشعب فيها طرق المدنيين والمصريين والعراقيين، وذلك يوم الخميس[٣] الثامن عشر من ذي الحجة، نزل إليه جبرئيل الأمين عليه السلام عن الله بقوله: ﴿**يَا أَيّهَا الرّسُولُ بَلّغْ مَآ أُنـزِلَ**

---

(١) الطبقات الكبرى.

(٢) نقلت هذه الخطبة الكثير من كتب الحديث.

(٣) هو المنصوص عليه في لفظ البر ابن عازب وبعض آخر من رواة حديث الغدير.

إِلَيْكَ من رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾(١)، وأمره أن يقيم علياً علماً للناس(٢)، ويبلغهم ما نزل فيه من الولاية وفرض الطاعة على كل مسلم، وإليك حديث الواقعة كما ينقلها أحمد بن حنبل في مسنده من حديث البراء بن عازب: كنا مع رسول الله، فنزلنا بغدير خم، فنودي فينا الصلاة جامعة، وكسح لرسول الله ﷺ، تحت شجرتين، فصلى الظهر وأخذ بيد علي، فقال: **ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟** قالوا: بلى، قال: **ألستم تعلمون أني أولى بكل مؤمن من نفسه؟** قالوا: بلى، قال: فأخذ بيد علي، فقال: **من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه**، قال: فلقيه عمر بعد ذلك، فقال له: هنيئاً يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة(٣).

وصايا النبي قبيل رحيله

لم يكتفي النبي ﷺ بما قام به في حجة الوداع من إرشاد وتبليغ تتعلق بمستقبل الأمة ففي أواخر شهر صفر لمّا أحسّ النبي ﷺ بدنو

---

(١) المائدة: الآية ٦٧.

(٢) كان علي بن أبي طالب في اليمن وقد كتب إليه النبي ليلتحق به في موسم الحج.

(٣) مسند أحمد بن حنبل ٤: ٢٨١.

أجله أخذ يوصي بوصايا مهمة تتعلق بوحدة المسلمين فكان يحذّرهم من الفتنة بعده والخلاف عليه. ويؤكد عليهم بالتمسك بسنّته والاجتماع عليها والوفاق، ويحثّهم على الاقتداء بعترته والطاعة لهم والنصرة والحراسة والاعتصام بهم في الدين.

وكان يوصي ﷺ بالصلاة ورعاية الرقيق فيقول: «**الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم، ألبسوا ظهورهم وأشبعوا بطونهم وألينوا لهم القول**»[١].

إلى الرفيق الأعلى

ينقل بعض المحدثين أن آخر جملة قالها رسول الله ﷺ في آخر لحظة من حياته الشريفة هي جملة: «**إلى الرفيق الأعلى**»، وكأن ملك الموت خيّره عند قبض روحه الشريفة في أن يصح من مرضه ويبقى أو يلبي دعوة ربه، ويلتحق بالرفيق الأعلى، فعبر بجملته هذه عن رغبته في اللحاق بربه[٢]، ففي منتصف يوم الاثنين الثامن والعشرين من شهر صفر سنة الحادية عشر للهجرة طارت روح النبي الأكرم المقدسة إلى بارئها، وإلى جنان الخلد، فبدأ أمير المؤمنين عليه السلام في تغسيله وتحنيطه وتكفينه، ثم صلى عليه، ثم كان الأصحاب

---

(١) الطبقات الكبرى ٢: ٢٥٤.

(٢) أعلام الورى: ٨٣.

يأتون أفواجاً، فيصلون عليه فرادى من دون إمام يأتمون به، وقد دفنه أمير المؤمنين عليه السلام في الحجرة الطاهرة، في الموضع الذي توفي فيه.

وهكذا غربت شمس أعظم شخصية غيّرت مسار التاريخ البشري، وأعظم رسول إلهي فتح أمام الإنسانية صفحات جديدة ومشرقة من الحضارة والمدنية.

وكان له عندئذ من العمر ٦٣ سنة، هبط عليه الوحي، وله أربعون سنة، ثم دعا الناس إلى التوحيد في مكة المكرمة مدة ثلاث عشرة سنة، ثم هاجر إلى يثرب (المدينة) وقد مضى من عمره الشريف ثلاث وخمسون سنة، فلبث فيها عشرة سنوات قضاها في الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وآله.

وبعد عرض هذه السيرة الوجيزة للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله من أدوار ومواقف طوال حياته الشريفة صلى الله عليه وآله هلُمَّ معنا لنقتبس من أخلاقه الحميدة لنطهِّر به قلوبنا ونحسِّن أخلاقنا ونتعرف على بعض كلماته القصار، لننوِّر بها عقولنا وأفكارنا، ونقوّيَ بها إيماننا، فهو أسوة حسنة لنا في دار الدنيا، وشفيع لنا يوم العقبى، فسلام عليه يوم ولد، ويوم ارتحل إلى الرفيق الأعلى، ويوم يبعث حيّا.

قبس

من أخلاق رسول الله صلى الله عليه وآله

وتراثه

قبس من أخلاق رسول الله صلى الله عليه وآله

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد:

لقد أكدَّ القرآن الكريم في آيات كثيرة، على أن النبي الأكـرم صلى الله عليه وآله كان قد كرّس جلّ حياته في سبيل دعوة الناس إلـى الله تعـالى وإلـى تعاليمه، دون أن يستعين بأية وسـيلة ماديـة كبيـرة أو قـوّة عـسكرية هائلة، واستطاع أن يغير مجتمعه المنحط في ربع قرن، فحل الإيمـان والعلم والأخلاق في هـذا المجتمـع مكـان الكفـر والجهـل والفـساد الأخلاق والاجتماعي.

فما الذي مكّن رسول الله صلى الله عليه وآله من إحراز ذلك النجاح البـاهر فـي مجتمع جاهليّ مغرق في القسوة والجفـاء، وغلظـة الطبـع وشكاسـة الخلق ؟!

وكيف لم تحتج عملية الهداية المحمدية والتغيير الاجتماعي والفكري العميق إلى زمن طويل؟!

ويأتي الجواب من القرآني نفسه من خلال وصفه تعالى لرسوله الكريم بالخلق العظيم حيث وصف به نبيه تارة على نحو الإجمال، إذ قال عنه: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾(١).

وتارة بالتفصيل، نسبياً، إذ قال: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضّواْ مِنْ حَوْلِكَ**﴾(٢)، وقوله تعالى: ﴿**لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأرْضِ جَمِيعاً مّآ أَلّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ**﴾(٣).

وقوله تعالى: ﴿**عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رّحِيمٌ**﴾(٤).

لقد سطعت أنوار رسول الله ﷺ في جميع الساحات والميادين، سواء منها الفردية أو الاجتماعية، في عشرته للناس أو في قيادته للمجتمع، وتوجيهه المسيرة الإنسانية بشكل عام.

وفي كل أمر كبيرٍ أو صغير نجده ﷺ يتلألأ نوراً ساطعاً، وقدوة

---

(١) القلم: الآية ٤.

(٢) آل عمران: الآية ١٥٩.

(٣) الأنفال: الآية ٦٣.

(٤) التوبة: الآية ١٣٨.

دائمة للبشرية، كيف لا؟! وهو الإنسان الأكمل الذي قدّمه الله قدوة للبشرية، ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرِ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً﴾[1].

وفيما يلي قبسٌ من نور رسول الله صلى الله عليه وآله وباقة عطرة من خلقه العظيم، وأدبه مع نفسه ومع ربه ومع مجتمعه كانت هي سرَّ نجاحه، ورمز خلوده، نقدمها لجمهور القرّاء عامة وأصحاب الفكر والمبلغين خاصةً للتأسّي والاقتداء بها، وذلك بمناسبة ذكرى مولده المبارك في شهر ربيع الأول.

❖ أدبُه مع ربِّه

* كان رسول الله صلى الله عليه وآله يبكي حتى يبتلّ مصلاّه خشية من الله عزَّ و جلَّ من غير جُرمٍ[2]

* كان صلى الله عليه وآله إذا قام إلى الصلاة يَربَدُّ وجهه خوفاً من الله، وكان صلى الله عليه وآله بصدره - أو لجوفه - أزيزٌ كأزيز المرجَل[3].

* كان صلى الله عليه وآله يحدّثنا ونحدّثه فإذا حضرتِ الصلاةُ فكأنّه لم يعرفنا

(1) الأحزاب: الآية ٢١.

(2) عن الحسين بن علي عليه السلام في كتاب الاحتجاج للطبسي.

(3) نقلاً عن فلاح السائل للسيد ابن طاووس.

ولم نعرِفه[١].

* كان ﷺ إذا جاءهُ أمر يُسَرُّ به خرَّ ساجداً شكراً للهِ[٢].

* كان ﷺ أكثر دعوة يدعو بها: «ربنا آتنا في الدنيا حسنةً وفـي الآخرة حسنةً وقنا عذاب النار»[٣].

* كان ﷺ إذا دخل شهر رمضان تغيَّـر لونـه وكثـرت صـلاته، وابتهل في الدعاء، وأشفق لونه[٤].

* كـان ﷺ إذا شـهد جنـازة أكثـر الـصُّمات وأكثـر حـديث نفسه[٥].

* كان ﷺ إذا شهد جنازة رُؤِيـت عليـه كآبـة، وأقـلَّ الكـلامَ وأكثر حديث النفس[٦].

* كان ﷺ أكثر ما يصومُ يـوم الاثنـين والخمـيس، فقيـل لـه: لماذا؟ قال: الأعمال تُعرض كلّ اثنين وخميس، فيُغفَرُ لكـل مـسلم

(1) عن عائشة، في كتاب عدة الداعي لابن فهد الحلي
(2) عن أبي بكرة، في كتاب سنن أبي داود.
(3) عن أنس خادم النبي ﷺ في كتاب مسند أحمد.
(4) عن عائشة في كتاب سنن البيهقي.
(5) عن ابن أبي رواد مرسلاً في كتاب الطبقات لابن اسعد.
(6) عن ابن عباس في كتاب الطبراني في الكبير.

إلاّ المتهاجرَيْن، فيقول: أخِّروهما»[١].

* كان صلى الله عليه وآله لا يدعُ قيام الليـل، وكـان صلى الله عليه وآله إذا مـرضَ أو كـسلَ صلّى قاعداً[٢].

* كان صلى الله عليه وآله لا ينزل منزلاً إلاّ وَدّعَهُ بركعتين[٣].

* كان صلى الله عليه وآله لا يُؤثر على الصلاة عـشاءً ولا غيـرَه وكـان صلى الله عليه وآله إذا دخل وقتها، كأنّه لا يعرف أهلاً ولا حميماً[٤].

* كان صلى الله عليه وآله يصلّي مـن التطـوُّع مِثلَـي الفريـضة، ويـصوم مـن التطوُّع مِثْلَي الفريضة[٥].

* كان صلى الله عليه وآله إذا تثاءب في الصلاة ردَّها بيده اليمنى[٦].

* كان صلى الله عليه وآله لا يصلي مكتوبةً إلاّ قَنَتَ فيها[٧].

---

(1) عن أبي هريرة في كتاب مسند أحمد.

(2) عن عائشة في كتاب سنن أبي داود.

(3) عن أنس في كتاب المستدرك للحاكم.

(4) عن أمير المؤمنين علي عليه السلام، في كتاب مجموعة ورَّام.

(5) عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، في كتاب التهذيب للطوسي.

(6) عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، في كتاب دعائم الإسلام للقاضي النعمان.

(7) عن البراء بن عازب، في كتاب غوالي اللئالي لابن أبي جمهور.

❖ أدبُه مع نفسه

* كان ﷺ خُلُقهُ القرآن[١].

* كان ﷺ أشدَّ حياءً من العذراء في خدرها[٢].

* كان ﷺ لا يضحك إلا تبسماً[٣].

* كان ﷺ لا ينبعث في الضحك[٤].

* كان ﷺ لا ينام إلاّ والسّواك عند رأسه فإذا استيقظ بدأ بالسواك[٥].

* كان ﷺ يحفي شاربه[٦].

* كان ﷺ يقلّم أظفارَه ويقصّ شاربَه يوم الجمعة قبل أن يروح إلى الصلاة[٧].

* كان ﷺ إذا تغدى لم يتعشَّ وإذا تعشّى لم يتغدَّ[٨].

---

(1) عن عائشة، في كتاب مسند أحمد وسنن أبي داود وصحيح مسلم.

(2) عن أبي سعيد، في كتاب مسند أحمد.

(3) عن جابر بن سمرة، في كتاب، مسند أحمد.

(4) عن جابر بن سمرة، في كتاب المستدرك للحاكم.

(5) عن ابن عمر، في كتاب مسند أحمد.

(6) عن أم عياش، في كتاب الطبراني في المعجم.

(7) عن أبي هريرة، في كتاب سنن البيهقي.

(8) عن أبي سعيد، في كتاب حلية الأولياء.

* كان ﷺ يؤدي الخيط والمخيط[١].

* كان ﷺ إذا حدّث بحديث تبسَّم في حديثه[٢].

* كان ﷺ ينفق على الطِّيب أكثر ممّا ينفقُ على الطعام[٣].

❖ أدبُه مع زوجاته

* كان ﷺ – إذا خلا بنسائه – ألينَ الناس، وأكرم الناس، ضَحاكاً بساماً[٤].

* كان ﷺ يحلب عنزَ أهله[٥].

* كان ﷺ إذا دخل بيته بدأ بالسِّواك[٦].

* كان ﷺ إذا قدِم من سفَر بدأ بالمسجد فَصلَّى فيه ركعتين، ثم يُثَنّي بفاطمة، ثم يأتي أزواجه[٧].

* كان ﷺ رحيماً بالعيال [٨].

---

(1) عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، مجموعة ورام.

(2) عن أبي الدرادء، في كتاب مكارم الأخلاق للطبرسي.

(3) عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، في كتاب مكارم الأخلاق للطبرسي.

(4) عن عائشة، في كتاب الطبقات لابن سعد.

(5) عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام في كتاب مكارم الأخلاق للطبرسي.

(6) عن عائشة، في كتاب صحيح مسلم وغيره.

(7) عن أبي ثعلبة في كتاب الطبراني في المعجم الكبير، والمستدرك للحاكم.

(8) عن أنس، في كتاب سنن الطيالسي.

* كان ﷺ يأمر نساءه إذا أرادت إحداهُنَّ أن تنامَ أن تحمد ثلاثاً وثلاثين، وتسبّح ثلاثاً وثلاثين، وتكبَر ثلاثاً و ثلاثين[١].

* كان ﷺ يخيط ثوبَه ويخصفُ نعله، ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم[٢].

* كان ﷺ يعمل عمل البيت وأكثر ما يعمل الخياطة[٣].

* كان ﷺ يَقسِمُ بين نسائه فيعدل..[٤].

❖ أدبُه مع أصحابه

* كان ﷺ يجلس بين ظهراني أصحابه، فيجيءُ الغريبُ فلا يدري أيُّهم هو حتى يسأل، فطلبنا إلى النبي أن يجعل مجلساً يعرفُه الغريبُ إذا أتاه، فبنينا له دكاناً من طين فكان ﷺ يجلس عليها، ونجلس بجانبيه[٥].

* كان ﷺ إذا جلس، جلس إليه أصحابه حَلَقاً حَلَقاً [٦].

---

(1) عن حابس، في كتاب ابن منده.

(2) عن عائشة وأم سلمة، في كتاب مسند أحمد.

(3) عن عائشة، في كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد.

(4) عن عائشة، في كتاب مسند أحمد والمستدرك للحاكم.

(5) عن أبي ذر، في كتاب مكارم الأخلاق للطبرسي.

(6) عن قرة بن أياس، في كتاب مسند البزاز.

* كان ﷺ إذا فقَد الرجل من إخوانه ثلاثة أيام سأل عنه، فإن كان غائباً دعا له، وإن كان شاهداً زارَه، وإن كان مريضاً عاده [١].

* كان ﷺ يتجمل لأصحابه فضلاً عن تَجَمّله لأهله[٢].

* كان ﷺ إذا لقي أصحابَه لم يصافحهم حتى يُسلّمَ عليهم[٣].

* كان ﷺ إذا لم يحفظ اسم الرجل، قال: يا ابن عبد الله [٤].

* كان ﷺ يقسّم لحظاتِه بينَ أصحابه فينظر إلى ذا و ينظر إلى ذا بالسويّة، ولم يبسط رجليه بين أصحابه قط، وإن كان ﷺ ليصافحه الرجلُ فما يتركُ رسولُ الله ﷺ يدَه حتى يكونَ هو التاركُ، فلما فَطِنوا لذلك كان ﷺ الرجلُ إذا صافحَهُ مالَ بيده فنزعَها من يده[٥].

* كان ﷺ يداعب و لا يقول إلا حقاً[٦].

* كان ﷺ ليَسُرّ الرجلَ من أصحابه إذا رآه مغموماً بالمداعبة، وكان ﷺ يقول: إن الله يبغض المعبِّس في وجه إخوانه[٧].

---

(1) عن أنس، في كتاب مكارم الأخلاق للطبرسي ومسند أبي يعلى.

(2) نقلاً عن كتاب مكارم الأخلاق للطبرسي.

(3) عن جندب، في كتاب الطبراني في المعجم الكبير.

(4) عن جارية الأنصاري، الطبراني في المعجم.

(5) عن الإمام الصادق عليه السلام، في كتاب الكافي للكليني.

(6) عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، في كتاب مستدرك الوسائل.

(7) عن علي بن أبي طالب عليه السلام، في كتاب كشف الريبة للشهيد الثاني.

* كنّا إذا جلسنا إليه ﷺ إن أخذنا في حديث الآخرة أخذ معنا، وإن أخذنا في ذكر الدنيا أخذ معنا، وإن أخذنا في ذكر الطعام والشرابِ أخَذَ معنا [١].

* كان ﷺ يَستشيرُ أصحابَه ثم يعزمُ على ما يريدُ [٢].

* كان ﷺ إذا ودع المؤمنين قال: «زوّدكم الله التقوى ووجّهكم إلى كل خير، وقضى لكم حاجة، وسلّم لكم دينكم ودنياكم ورَدَّكم إليَّ سالمين»[٣].

❖ أدبُه مع عامة الناس

* كان ﷺ أخفَّ الناس صلاةً على الناس، وأطول الناس صلاةً لنفسه[٤].

* كان ﷺ إذا أتى باب قومٍ لم يستقبل الباب من تلقاءِ وجههِ ولكن من ركنِه الأيمن أو الأيسر ويقول: السلام عليكم[٥].

---

(1) عن زيد بن ثابت، في كتاب، مكارم الأخلاق للطبرسي.

(2) عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، في كتاب المحاسن للبرقي.

(3) عن كتاب من لا يحضره الفقيه للصدوق.

(4) عن أبي واقد، في كتاب مسند أحمد.

(5) عن عبد الله بن بسر، في كتاب مسند أحمد.

* كان ﷺ إذا أتاه الرجل وله الاسمُ لا يحبُّهُ[١].

* كان ﷺ إذا أتاه الفيءُ قسَّمه في يومه فأعطى الآهِلَ حظّين وأعطى العَزَبَ حظاً[٢].

* كان ﷺ إذا بعث أحداً من أصحابه في بعض أمره قال: بَشِّروا ولا تُنَفِّروا، ويَسِّرُوا ولا تَعَسِّروا[٣].

* كان ﷺ لا يُدفَعُ عنه الناس ولا يُضرَبون عنه[٤].

* كان ﷺ يتخلّف في السير فيزجي الضعيفَ ويردفُ، ويدعُو لهم[٥].

* كان ﷺ إذا دخلَ على مريض يعوده قال: لا بأس، طهورٌ، إن شاء الله[٦].

* كان ﷺ إذا عطسَ، وَضَعَ يده أو ثوبه على فيه وخفّض بها صوته[٧].

---

(1) عن عقبة بن عبد، حوّله (ابن منده)

(2) عن عوف بن مالك، في كتاب سنن أبي داود.

(3) عن أبي موسى، في كتاب، سنن أبي داود.

(4) عن ابن عباس، في كتاب الطبراني في المعجم الكبير.

(5) عن جابر، في كتاب، سنن أبي داود والمستدرك للحاكم.

(6) عن ابن عباس، في كتاب صحيح البخاري.

(7) عن أبي هريرة، في كتاب سنن أبي داود.

* كان ﷺ إذا صلّى بالناس الغداةَ أقبلَ عليهم بوجهه فقال: هَـل فيكم مريضٌ أعودُه ؟ فإن قالوا: لا، قال: فهل فيكم جنازةٌ أتبعها[١].

* كان ﷺ يحبُّ أن يُدعى الرجل بأحـبّ أسـمائِه إليـه وأحـبّ كناه[٢].

* كان ﷺ يكرهُ أن يَطَأَ أحدٌ عقِبَهُ ولكن يمينٌ وشمالٌ[٣].

* كان ﷺ ينزلُ من المنبـر يـوم الجمعـة، فيكلّمُـهُ الرجـل فـي الحاجة فيكلّمُه، ثم يتقدمُ إلى مصلاّة فيصلّي [٤].

* كان ﷺ لا يواجهُ أحداً بشيء يكرهُه [٥].

* كان ﷺ لا يدع أحداً يمشي مَعه إذا كان ﷺ راكباً حتى يحمله معه، فإن أبى، قال: تقدَّم أمامي وأدركني في المكان الذي تريد[٦].

* كان ﷺ من رأفته ﷺ لأمّته مداعبته لهم لكيلا يبلغ بأحد منهم التعظيمُ حتى لا يَنظُرَ إليه[٧].

---

(1) عن ابن عمر، في كتاب تاريخ ابن عساكر.

(2) مسند أبي يعلي والطبراني في المعجم الكبير.

(3) عن حنظلة بن حذيم، في كتاب المستدرك للحاكم.

(4) عن أنس، في كتاب مسند أحمد.

(5) عن أنس، في كتاب مسند أحمد والبخاري ومسلم و النسائي.

(6) نقلاً عن كتاب مكارم الأخلاق للطبرسي.

(7) عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، في كتاب كشف الريبة.

❖ أدبُه مع الصبيان

* كان ﷺ يسمع صوتَ الصبي يبكي وهو في الصلاة، فيخفف الصلاة فتصير إليه أُمُّه[١].

* كان ﷺ إذا أُتِيَ بباكورة الثمرة وضعَها على عينيه ثم على شفتيه، وقال: اللّهم كما أريتَنا أوّلَه فأرِنا آخره، ثم يعطيه مَن يكونُ عنده مِن الصبيان[٢].

* كان ﷺ إذا يؤتى بالصغير ليَدعوَ بالبركة أو يسمّيه، فيأخذُه فيضعُه في حجره تكرمةً لأهله فربما بالَ الصبيُ عليه فيصيحُ بعضُ من رآه حين يبول فيقول ﷺ: لا تَزرِمُوا بالصبيّ، فيدعُه حتى يقضي بولَه ثم يفرغ له من دعائه أو تسميته ويبلغُ سرور أهلِه فيه، ولا يرون أنه يتأذى ببول صبيّهم، فإذا انصرفوا غَسَلَ ثوبه[٣].

* كان ﷺ أرحمَ الناس بالصبيان والعيال[٤].

* كان ﷺ إذا قدم من سفر تُلقّيَ بصبيان أهل بيته[٥].

---

(1) عن الإمام محمد الباقر عليه السلام، في كتاب علل الشرايع.

(2) عن أنس، في كتاب الطبراني في الكبير.

(3) نقلاً عن كتاب مكارم الأخلاق للطبرسي.

(4) عن أنس، في كتاب تاريخ ابن عساكر.

(5) عن عبد الله بن جعفر، في كتاب مسند أحمد.

* كـان صلى الله عليه وآله يــزور الأنــصار ويــسلّم علــى صــبيانهم ويمــسح رؤوسهم(١).

❖ أدبُه مع الضعفاء

* كان صلى الله عليه وآله آخر كلامه «الصلاة، الـصلاة، اتقـوا الله فيمـا ملكـت أيمانكم»(٢).

* كان صلى الله عليه وآله يأتي ضعفاء المسلمين ويـزورهم، ويعـود مرضـاهم ويشهد جنائزهم(٣).

* كان صلى الله عليه وآله يجلس علـى الأرض ويعتقـل الـشاة ويجيـبُ دعـوة المملوك على خبزِ شعير(٤).

* كان صلى الله عليه وآله إذا أكلَ مع القوم طعاماً كان صلى الله عليه وآله أوّلَ من يـضعُ يَـدَه، وآخرَ من يرفعُها ليأكلَ القومُ(٥).

* كان صلى الله عليه وآله يذبح يوم الأضحى كبشين أحدهما عن نفسه والآخـر

---

(1) عن أنس، في كتاب سنن النسائي.

(2) عن علي بن أبي طالب عليه السلام، في كتاب سنن أبي داود وابن ماجه.

(3) عن سهل بن حنيف، في كتاب مسند أبي يعلي، المعجم الكبير للطبراني.

(4) عن ابن عباس، في كتاب مكارم الأخلاق.

(5) عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، في كتاب الكافي للكليني.

عمن لم يجد من أمَّته[1].

❖ النبي ﷺ في كلام علي عليه السلام

قال الإمام الحسين بن علي عليه السلام سألتُ أبي عن رسول الله ﷺ، فقال عليه السلام:

* كان ﷺ دخولُه في نفسه مأذوناً في ذلك، فإذا آوى إلى منزله جَزّأ دُخولَه ثلاثة أجزاءٍ جزءاً لله، وجزءاً لأهله وجزءاً لنفسه ثم جزّأ جزءه بينه وبين الناس فيردُّ ذلك بالخاصَّة على العامة، ولا يَدّخر عنهم منه شيئاً.

* وكان ﷺ من سيرته في جزء الأُمّة، إيثار أهل الفضل بأدبه، وقسّمه على قَدَر فضلهم في الدين، فمنهم: ذو الحاجة ومنهم ذو الحاجتين، ومنهم ذو الحوائج، فيتشاغل بهم، ويشغَلهم فيما أصلَحَهم، والأُمّةَ، مِن مسألته عنهم، وبإخبارهم بالذي ينبغي، ويقول: ليبلّغِ الشاهدُ منكم الغائبَ وأبلغوني حاجةَ من لا يقدرُ على إبلاغ حاجته، فإنه من أبلغ سلطاناً حاجةَ من لا يقدرُ على إبلاغها ثبّت الله قدمَيْه يوم القيامة، لا يُذكر عنده إلاّ ذلك، ولا يقبل من أحدٍ غيرَه، يدخلون رُوّاداً، ولا يفترقونَ إلاّ عن ذواق ويخرجون أدلّةً.

---

(1) عن عبد الله بن سنان، في كتاب الكافي للكليني.

* كان رسول الله صلى الله عليه وآله يخزن لسانه إلاّ عمّا كان يعنيه.

ويؤلّفهُّم ولا ينفّرهم، ويُكرمُ كريمَ كلِّ قوم ويولّيه عليهم، ويحذَرُ الناس ويحترسُ منهم من غيرِ أن يطوي عن أحدٍ بِشره ولا خُلُقه، ويتفقَّد أصحابَه، ويسأل الناسَ عمّا في الناس، ويحسّنُ الحسنَ ويقوّيه، ويقبّحُ القبيحَ ويوهنُه، معتدلَ الأمر غير مختلف فيه، لا يغفَل مخافةَ أن يغفلوا ويميلوا، ولا يقصّرُ عن الحقِ ولا يجوِّزُهُ، الذين يَلُونه من الناسِ خيارُهم، أفضلُهم عنده أعمّهم نصيحةً للمسلمين، وأعظمهُم عنده منزلةً أحسنُهم مواساة ومؤازرة.

* كان صلى الله عليه وآله لا يجلس ولا يقومُ إلاّ على ذكرٍ.

وإذا انتهى إلى قوم، جَلَسَ حيث ينتهي به المجلس ويأمر بذلك.

ويعطي كلَّ جلسائه نصيبَه، ولا يحسب أحدٌ من جلسائه أنَّ أحداً أكرمُ عليه منه.

مَن جالسَهُ صابره حتى يكونَ هو المنصرف.

مَن سأله حاجة لم يرجع إلاّ بها، أو ميسورٍ منَ القول.

قد وسع الناسَ منه خُلُقُهُ فصارَ لهم أباً، وصاروا عنده في الخَلق سواء.

مجلسُه مجلسُ حلمٍ وحياءٍ وصدقٍ وأمانةٍ، لا تُرفَعُ عليه

الأصوات، ولا تؤبَنُ فيه الحُرَم، ولا تُثَنى فلتاتُه، مُتعادلين، متواصلين فيه بالتقوى، متواضعين، يوقرون الكبيرَ، ويَرحمون الصَّغير، ويؤثرون ذا الحاجة ويحفظون الغريب.

* كان ﷺ دائمَ البشْر، سَهْلَ الخُلُقِ. لَيِّنَ الجانب. ليس بفظٍّ ولا غليظٍ، ولا صَخّاكٍ، ولا فحّاشٍ، ولا عَيّابٍ، ولا مَدّاحٍ. يتغافلُ عما لا يشتهي، فلا يؤيَس منه، ولا يُخيّبُ فيه مؤمليه. قد ترك نفسَه من ثلاث: المراء، والإكثار، ومالا يعنيه. وترك الناس من ثلاث.

* كان ﷺ لا يذمُّ أحداً ولا يعيّره، ولا يطلب عثراته ولا عورته، ولا يتكلم إلاّ فيما رُجِي ثوابَه، إذا تكلم أطرقَ جُلساؤه كأنّ ﷺ على رؤوسهم الطير، فإذا سكت سكَتوا. ولا يتَنازعون عنده الحديث. من تكلم أنصَتوا له حتى يفرَغ، حديثهم عنده حديث أوّلهم. يضحكُ ممّا يضحكون منه. ويتعجبُ ممّا يتعجَّبون منه. ويصبرُ للغريب على الجفوة في مسألته ومنطِقه، حتى إن كان أصحابه يستجلبونهم، ويقول: إذا رأيتم طالبَ الحاجة يطلبُها فأرْفِدُوهُ. ولا يقبل الثناء إلاّ من مكافىء. ولا يقطعُ على أحدٍ كلامَهُ حتى يجوز فيقطعُه بنهيٍ أو قيامٍ.

* كان ﷺ سكوته على أربع: على الحلمِ، والحذرِ، والتقدير، والتفكير، فأمّا التقدير ففي تسوية النظر والاستماع بين الناس. وأمّا تفكّرهُ ففيما يبقى ويفنى. وجمع له الحلم والصبرَ فكان ﷺ لا يغضبهُ

شيء ولا يستفزُّه. وجمع له الحذرَ في أربع: أخذُه بالحَسَن ليقتدى به، وتركُه القبيح ليُنتهى عنه، واجتهادُه الرأيَ في صلاح أُمَّته، والقيام فيما جمع له خير الدنيا والآخرة[1].

وقال عنه علي بن أبي طالب عليه السلام أيضاً:

* كان رسول الله صلى الله عليه وآله يأكل على الأرض، ويجلس جِلسَة العبد، ويخصفُ بيدِه نَعله، ويرقّع ثوبَه، ويركبُ الحمارَ العاري، ويردفُ خلفه، ويكون الستر على بابه فيكون عليه التصاويرُ فيقول: يا فلانة – لإحدى زوجاته – غيِّبيه عنّي، فإنيّ إذا نَظَرْتُ إليه ذكرتُ الدنيا وزخارفها.

فأعرضَ عن الدنيا بقَلبه، وأمات ذكرَها عن نفسه، وأحبَّ أن تغيب زينتها عن عينيه لكيلا يتخذ منها ريشاً، ولا يعتقدها قراراً، ولا يرجو فيها مقاماً، فأخرجها من النفس وأشخصها عن القلب وغيّبها عن البصر[2].

---

(1) مكارم الأخلاق للطبرسي، إحياء علوم الدين للغزالي، دلائل النبوة لأبي نعيم.

(2) بحار الأنوار ١٦: ٢٨٤.

قبس من تراث رسول الله ﷺ[1]

ألف- خصائص الإسلام:

قال ﷺ: الإسلام يجُبّ ما قبله.

قال ﷺ: الإسلام يعلو ولا يُعلى عليه.

قال ﷺ: الناس في سعة ما لم يعلموا.

قال ﷺ: رفع القلم عن ثلاثة: الصبي والمجنون والنائم.

قال ﷺ: رفع عن أُمتّي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه.

ب- العلم ومسؤولية العلماء:

قال ﷺ: كل مفت ضامن.

قال ﷺ: من يرد الله به خيراً يفقّهه في الدين.

---

(1) نقلاً عن كتاب محمد المصطفى، خاتم الأنبياء، إعداد: مجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام ط- إيران- قم، بترتيب وعرض جديد وقد استخرجت هذه الكلمات القصار لرسول الله ﷺ من كتب مجامع الحديث المعروفة لدى علماء الإسلام.

قال ﷺ: كل بدعة ضلالة وكل ضلالة سببها إلى النار.

قال ﷺ: من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتةً جاهليّة.

قال ﷺ: من قال في القرآن بغير علم فليتبوّأ مقعده من النار.

قال ﷺ: من سُئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار.

قال ﷺ: من أفتى بما لا يعلم لعنته ملائكة السماء والأرض.

قال ﷺ: تعلّموا الفرائض وعلّموها الناس فإنها نصف العلم.

قال ﷺ: إذا ظهرت البدعة فليظهر العالم علمه فمن لم يفعل فعليه لعنة الله.

ج- قواعد عامة للسلوك الإسلامي:

قال ﷺ: لا رهبانية في الإسلام.

قال ﷺ: لا دين لمن لا تقيّة له.

قال ﷺ: إنّما الأعمال بالنّيات.

قال ﷺ: أفضل الأعمال أحمزها.

قال ﷺ: نيّة المرء أبلغ من عمله.

قال ﷺ: في كل أمر مشكل القرعة.

قال ﷺ: من دان بدين قوم لزمه حكمهم.

قال ﷺ: لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

قال ﷺ: لا خير في النوافل إذا أضرّت بالفرائض.

قال ﷺ: من سنّ سُنّة حسنة كان له أجرها وأجر العامل بها إلى يوم القيامة

قال ﷺ: من سنّ سنّة سيّئة كان عليه وزرها ووزر العامل بها إلى يوم القيامة.

د- خطوط عامة في القضاء:

قال ﷺ: لا يمين إلاّ بالله.

قال ﷺ: ادرؤا الحدود بالشبهات.

قال ﷺ: من قتل دون ماله فهو شهيد.

قال ﷺ: على اليد ما أخذت حتى تؤدّي.

قال ﷺ: الناس مسلّطون على أموالهم.

قال ﷺ: إقرار العقلاء على أنفسهم جائز.

قال ﷺ: البيّنة على المدّعي واليمين على من أنكر.

قال ﷺ: لا يؤاخذ الرجل بجريرة ابنه، ولا ابن بجريرة أبيه.

قال ﷺ: إذا اجتهد الحاكم فأخطأ فله أجر وإن أصاب فله أجران.

هـ- العبادات بمفهومها الأعمّ:

قال ﷺ: كل معروف صدقة.

قال ﷺ: سياحة أمتي الصوم.

قال ﷺ: إنّ عمود الدين الصلاة.

قال ﷺ: خذوا عني مناسككم.

قال ﷺ: صلّوا كما رأيتموني أُصلّي.

قال ﷺ: زكّوا أموالكم تقبل صلاتكم.

قال ﷺ: زكاة الفطرة على كل ذكر وأنثى.

قال ﷺ: جعلت لي الأرض مسجداً وترابها طهوراً.

قال ﷺ: جنّبوا مساجدكم بيعكم وشراءكم وخصوماتكم.

قال ﷺ: أفضل الجهاد كلمة حق بين يدي سلطان جائر.

و- من نظام الأسرة في الإسلام:

قال ﷺ: المتلاعنان لا يجتمعان أبداً.

قال ﷺ: الولد للفراش وللعاهر الحجر.

قال ﷺ: علّموا أولادكم السباحة والرمي.

قال ﷺ: جهاد المرأة حسن التّبعّل لزوجها.

قال ﷺ: من كان عنده صبيّ فليتصابّ له.

قال ﷺ: الرضاع ما أنبت اللحم وشدّ العظم.

قال ﷺ: قذف المحصنة يحبط عمل مئة سخينة.

قال ﷺ: تخيّروا لنطفكم، فانكحوا الأكفاء وانكحوا إليهم.

قال ﷺ: النكاح سنّتي فمن رغب عن سنّتي فليس منّي.

قال ﷺ: تناكحوا تناسلوا فإني أباهي بكم الأمم يوم القيامة.

قال ﷺ: تزوّجوا ولا تطلّقوا فإنّ الطلاق يهتزّ منه عرش الرحمن

ز- المعاملات والاقتصاد:

قال ﷺ: ابدأ بمن تعول.

قال ﷺ: الفقه ثم المتجر.

قال ﷺ: شرّ المكاسب الرّبا.

قال ﷺ: المسلمون عند شروطهم.

قال ﷺ: على كل ذي كبد حرّى أجر.

قال ﷺ: المسلم أحق بماله أينما وجده.

قال ﷺ: ملعون من ألقى كلّه على النـاس.

قال ﷺ: أعطوا الأجير أجره قبل أن يجفّ عرقه.

قال ﷺ: لا ينتفع من الميتة بإهـــاب ولا عصــب.

قال ﷺ: الوقوف على حسب ما يوقفها أهـــلها.

قال ﷺ: الكفن ثم الدَّيْن ثم الوصية ثـم المـيراث.

قال ﷺ: مطل الموسر المســلم ظلم للمســـلم.

قال ﷺ: البيّعان بالخيـار ما دامــا فـــي المجلـــس.

قال ﷺ: العبادة سبعة أجـــزاء أفضـــلها طلـــب الحلال.

قال ﷺ: لا يحل مال امرئ مسلم إلاّ عن طيب نفسه منه.

قال ﷺ: الصلح جائز بين المسلمين إلاّ ما أحلّ حراماً أو حـرّم حلالاً.

ح- التعايش الاجتماعي:

قال ﷺ: سباب المؤمن فسوق.

قال ﷺ: حرمة المؤمن ميّتاً كحرمته حيّاً.

قال ﷺ: كرامة الميت تعجيله في التجهيز.

قال ﷺ: ما أسكر كثيره فالجرعة منه حرام.

قال ﷺ: عذاب القبر من النميمة والغيبة والكذب.

قال ﷺ: المؤمنون إخوة ... وهم يد على مَن سواهم.

قال ﷺ: حرّم لباس الذهب على ذكور أُمّتي وحلّ لإناثهم.

ط- من جوامع الكلم[1]:

قال ﷺ: لا عقل كالتدبير.

قال ﷺ: بشّروا ولا تنفّروا.

قال ﷺ: مَن غَشّ غُشّ.

قال ﷺ: الغني غني النفس.

---

(1) ثلاثة وستون (٦٣) كلمة بعدد عمر خاتم المرسلين نختم به المناسبات النبوية.

قال ﷺ: من تفاقر افتقر.

قال ﷺ: ما عال من اقتصد

قال ﷺ: المستشار مؤتمن.

قال ﷺ: بالبرّ يستعبد الحرّ.

قال ﷺ: المجالس بالأمانة.

قال ﷺ: يسّروا ولا تعسّروا.

قال ﷺ: من لا يرحم لا يُرحَم.

قال ﷺ: لا مال أعود من العقل.

قال ﷺ: لا فقر أشـدّ من الجهل.

قال ﷺ: أعجل الشر عقوبة البغي.

قال ﷺ: أنا مدينة العلم وعليٌّ بابُها.

قال ﷺ: من المروءة إصلاح المال.

قال ﷺ: حب الدنيا رأس كل خطيئة.

قال ﷺ: إذا عمل أحدكم عملاً فليتقن.

قال ﷺ: من أحب قوماً حشر معهم.

قال ﷺ: المسلم مرآة لأخيه المسلم.

قال ﷺ: ما هلك امرؤٌ عرف قدر نفسه.

قال ﷺ: من أذاع فاحشةً كان كمبدئها.

قال ﷺ: استعينوا على اُموركم بالكتمان.

قال ﷺ: من تساوى يوماه فهو مغبون.

قال ﷺ: عزّ المؤمن استغناؤه عن الناس.

قال ﷺ: إنّما بعثت لأُتمّم مكارم الأخــلاق.

قال ﷺ: المسلم من سلم الناس من أذاه.

قال ﷺ: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا.

قال ﷺ: أحبّ الأعمال إلى الله أدومها وإن قلّ.

قال ﷺ: الأمانة تجلب الرزق والخيانة تجلب الفقر.

قال ﷺ: المؤمن من أمن الناس من يده ولسانه.

قال ﷺ: من عمل بما علم ورّثه الله ما لم يعلم.

قال ﷺ: المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يثلمه.

قال ﷺ: طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس.

قال ﷺ: عليك بالجماعة فإن الذئب يأخذ القاصية.

قال ﷺ: عليكم بالاقتصاد فما افتقر قوم اقتصدوا.

قال ﷺ: عُد من لا يعودك، واهد لمن لم يهد إليك.

قال ﷺ: عُد من لا يعودك، واهد لمن لم يهد إليك.

قال ﷺ: من عيّر مؤمناً بشيء لم يمت حتى يركبه.

قال ﷺ: ليس منّا من غشّ مسلماً أو ضرّه أو ماكره.

قال ﷺ: حُفت الجنة بالمكاره وحفّت النار بالشهوات.

قال ﷺ: من أعان ظالماً على ظلمه سلّطه الله عليه.

قال ﷺ: من عدّ غداً من أجله فقد أساء صحبة الموت.

قال ﷺ: من أحبّ عمل قوم أشرك معهم في عملهم.

قال ﷺ: الحكمة ضالة المؤمن. رأس الحكمة مخافة الله.

قال ﷺ: الإيمان نصفان: نصف في الصبر ونصف في الشكر.

قال ﷺ: من أرضى سُلطاناً بما يسخط الله خرج من دين الله.

قال ﷺ: مداراة الناس نصف الإيمان والرفق بهم نصف العيش.

قال ﷺ: من عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح.

قال ﷺ: من يصلح ما بينه وبين الله يصلح الله ما بينه وبين الناس.

قال ﷺ: رأس العقل بعد الإيمان بالله مداراة الناس في غير ترك حق.

قال ﷺ: الأيدي ثلاثة: سائلة ومنفقة وممسكة، فخير الأيادي المنفقة.

قال ﷺ: كن عالماً أو متعلّماً أو مستمعاً أو محبّاً، ولا تكن الخامس فتهلك.

قال ﷺ: جبلت القلوب على: حب من أحسن إليها، وبغض من أساء إليها.

قال ﷺ: ثلاث تقسي القلب: استماع اللهو ، وطلب الصيد وإتيان باب السلطان.

قال ﷺ: شر الناس من باع آخرته بدنياه ، وشرٌ من ذلك من باع آخرته بدنيا غيره.

قال ﷺ: إذا ساد القوم فاسقهم وكان زعيم القوم أذلّهم وأكرم الرجل الفاسق فلينتظر البلاء.

قال ﷺ: عجبت لمن يحتمي من الطعام مخافة الداء ، كيف لا يحتمي من الذنوب مخافة النار.

قال ﷺ: سادة الناس في الدنيا الأسخياء، سادة الناس في الآخرة الأتقياء. السعيد من وُعظ بغيره.

قال ﷺ: ألا إنّ شرار أُمّتي الذين يكرمون مخافة شرّهم. ألا ومن أكرمه الناس اتّقاء شرّه فليس منيّ.

قال ﷺ: بادر بأربع قبل أربع: شبابك قبل هرمك وصحّتك قبل سُقمك وغناك قبل فقرك وحياتك قبل موتك.

قال ﷺ: ثلاث من مكارم الأخلاق في الدنيا والآخرة: أن تعفو عمّن ظلمك وتصل من قطعك وتحلم على من جهل عليك.

قال ﷺ: حسّنوا أخلاقكم والطفوا بجيرانكم وأكرموا نساءكم تدخلوا الجنة بغير حساب، داووا أمراضكم بالصدقة.

المحتويات

قبس من أخلاق رسول الله ﷺ وتراثه

* * * *

«إن نبي الإسلام المكرّم وفضلاً عن مناقبه المعنوية، وخصاله النورانية، واتصاله بعالم الغيب، وما يتميز به من درجات ومراتب، يعجز الإنسان عن إدراكها، فإنه كبشر وكإنسان، يُعتبر شخصية ممتازة، من الطراز الأول، لا ندَّ لها، ولا نظير»

الإمام الخميني قدس سره

«بمناسبة احتفالنا وتكريمنا لشخصية نبي الإسلام المكرم صلى الله عليه وآله لدينا نحن المسلمون الكثير من الكلام مما ينبغي إن نتحادث به ونتداوله ونتباحث فيه فيما بيننا لأن نبي الإسلام صلى الله عليه وآله كان معلماً لجميع المحاسن ومعلم العدالة والإنسانية والمعرفة والأخوة، ومعلّم الرقي والتكامل والتطور المتواصل للبشر حتى نهاية التأريخ. انّى للإنسان أن يتصور زمناً يكون في غنىً عن هذه الدروس النفيسة؟، إن البشرية اليوم تحتاج كما في أي وقت مضى إلى دروس وتعليم نبي الإسلام صلى الله عليه وآله»

الإمام الخامنئي دام ظله